الانسان الصحيح

◆

كان في الربيع السادس عشر حين عرفته في بيت ابيه وعمه ، واذكر انه كان ينتبذ من دروسه ويأتي فيجلس الينا مصغياً الى حديثنا في الادب والادباء او في احوال الناس . لقيته لايام وفاقاً على الطريق فاذا هو يكاد يشيخ ، فالخريف الرابع الذي انصرم بين عهدي به في بيت ابيه وعمه واجتماعي به في الشارع حوّله من فتى طريّ ناعم ، ساذج المقلتين ، وادع اهوج ، الى غلام منكمش ، هزيل ، منجرد على سيمائه رماد الليالي وفي عينيه ابتسامة صفراء ، تتقاسمها تكشيرة السخرية المتصنعة وعجرفة الغرور الابله . وكأن بُعدَ مشقّة بين البيت والشارع انساه مفروض الاحترام لبُعدِ ما بين السنين ، فقال لي متعمداً رفع الكلفة بما يمجّه ذوق الاديب : « هل حوّلتك الحرب من شاعر الى تاجر ؟ » فقلت : « وما يحملك على هذا السؤال ؟ » فقال وهو يهمّ بأخذ ذقني بيده : « لم اقرأ لك شعراً منذ دهر طويل . » فقلت مستعيناً على الصبر بما احفظ لعمّه ، رحمه الله ، من المحبة والجميل : « لو كنت تقرأ المجلة الفلانية لقرأت لي شعراً ونثراً ورفعت عني كأس التجارة في هذه السنة الازمة . » فانتفض انتفاضة المكبود الممعود ، ثم كشّر تكشيرة بشعة وقال بلهجة كأنها « سنوبسم » : « انا لا احب السنوبسم !.. » فقلت مستغرباً ان يكون في الناس مثل هذا الغلام ، وكأني اكتشفت جنساً جديداً من الخلق : « وما علاقة السنوبسم بهذه المجلة ؟ » فقال كمن يريد ان يتهرب : « لا ، لا احب شكلها ، ولا تبويبها ، ولا طريقتها في اختيار الكتّاب .. » ثم رفع كتفيه المقوستين الى اذنيه الرقيقتين كأنفه وشفتيه وقال : لا ، لا احب السنوبسم !.. » فقلت : « وماذا تحب ؟ » فقال : « احب الفن !.. » ورفع حاجبيه تنويهاً بخطورة الكلمة .

ولما انصرف اخذت احدث نفسي في شأنه . من اين جاء هذا الولد ، وفيم لم ينشأ كما نشأ عمه ، مع انه ربي في ظله وفي ... بيته . ثم تذكرت قول مفكر حكيم ان الرقي لا يقوم الا على التقاليد ، فخارج التقاليد لا نبني الا في الهواء ولا نشيد الا ابنية وهمية خدّاعة باطلة . والواقع اننا اذا لم نتقيّد بالمأثور الحسن من عاداتنا وتقاليدنا في التفكير والسلوك نشأنا مضطربين مضعضعين ، اشخاصاً لا شخصية لهم ، نلتقط ما هبَّ ودبّ من بضائع الغير ونتمسك به عوناً لنا على الظهور في الناس بمظهر الفاهمين مخارج الامور ومداخلها .. ويكون مثلنا مثل هذا الغلام « السنوب » الذي يمثل في محيطه طائفة من اولئك الغلمان المضطربين المضعضعين الذين يخيّل اليهم ان من شروط الرقي الخروج على ما استغرق اجيالا من التفكير والعلم والاختبار .

وفي كل جيل نشهد غزوة للبرابرة في قلب الحضارة ، وفي كل جيل نتأهب لصدّ هذه الغزوة او للقضاء عليها . وهؤلاء البرابرة لا يأتون دائماً من صحارى سكاندينافيا او من شواطىء النهر الاصفر ، بل يأتون احياناً من اعماق الشروز الاصلية . فابناء الناس كما اوجدتهم الطبيعة ليسوا سوى برابرة ، وفي ذمـة المستنيرين تحضيرهم . في ذمة المستنيرين مساعدتهم على التخلص من افاعي الجهل التي تشد على خناقهم . ويقيني ان غلامنا هذا لو ربي على المحمود من منقول الاباء والجدود لما بقي بربرياً كما اوجدته الطبيعة . وكما انه ليس ثمة الا فن واحد ، هو الفن الصحيح وهو الفن الذي يجب ان يُحبّ دون سواه — لا فن الدهماء الذي يرضي شهوة العقول العادية ، ولا الفن الذي يوائم مزاج هذا وذاك او يستوي مع قدرتها على الفهم — لا ينبغي ان يكون ثمة الا انسان واحد هو الانسان الصحيح .

الياس ابو شبكه

اساس الدولة الاقتصادي في النظام العالمي

لحسني الصواف
استاذ علم التجارة في جامعة بيروت الاميركية

لا اريد ان ابدأ حديثي اليكم هذا المساء بالمقارنة بين اهمية الاقتصاد من جهة والسياسة من جهة اخرى ، في بناء الامم . ولكني لا ارى بدأ من الاشارة الى ان القائمين بتغذية النهضة القومية في بلاد الشرق العربي قد حصروا جهودهم ، او كادوا ، في العمل السياسي الصرف ولم يشملوا العمل الاقتصادي الا بالقليل من اهتمامهم ونشاطهم . والواقع ان نشاط النهضة السياسية نفسه يتوقف الى مدى كبير على نهضة مماثلة في الاقتصاد والاجتماع ، فلا يمكن ان يقوم في هذه البلاد اي كيان سياسي متين البنيان راسخ الاركان الا اذا دعمه كيان اقتصادي ينمي الثروة الوطنية ويقوم بتوزيعها بعدل بين مختلف طبقات المنتجين . وبناء هذا الكيان الاقتصادي هو هدف السياسة الاقتصادية للدولة . وتجب الاشارة هنا الى ان السياسة الاقتصادية للدولة هي جزء من سياسة الدولة العامة التي يمكن تلخيصها بعبارة وجيزة . هي توطيد السلم في الداخل والدفاع عن البلاد في حالة عدوان خارجي ، ومن ثم توفير الخير المادي للرعية تأميناً لتطور الامة الى حياة فكرية ثقافية اجتماعية مثلى . فمهمة السياسة الاقتصادية ، اذن ، تنحصر في العمل على توفير الخير المادي للامة اي في العمل على انماء الثروة الوطنية وتوجيه موارد البلاد من ثروات طبيعية وايد عاملة في السبل التي تؤدي الى تقوية الدفاع عن البلاد ورفع مستوى المعيشة عند كثرة الشعب .

ولعل اهم وسيلة لتحقيق هذه المهمة اي لانماء الثروة الوطنية ورفع مستوى المعيشة عند القسم الاكبر من الشعب هي اتباع مبدأ توزيع العمل وتطبيق هذا المبدأ في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية . فقد انقضى الزمن الذي كان يعتمد فيه الفرد على نفسه لانتاج ما يحتاج اليه من مأكل وملبس وغير ذلك من مقومات حياته المادية ووجد بعد الاختبار ان جهوده في الانتاج تأتي بثمار اوفر ان هي اقتصرت على انتاج شيء واحد او عدد محدود من الاشياء ، فبادر الى التخصص والى مبادلة ما يفيض عن انتاجه بما يفيض عن انتاج الآخرين . وقد توسع تطبيق هذا المبدأ بالتدريج فلم يعد يقتصر على الافراد القاطنين في بلاد واحدة بل اصبح في الاحوال العادية شاملاً افراد الدول المختلفة ، وخرج عن حدوده المحلية الضيقة ، خصوصاً منذ الثورة الصناعية في اواخر القرن الثامن عشر ، فاصبح عالمياً بكل معنى الكلمة . وصرت لا تجد اليوم دولة مهما اتسعت مساحتها ومهما بلغ شأنها من العلم والتقدم الا وهي تعتمد في سد كثير من حاجاتها على انتاج غيرها من الدول . وليس ادل على ذلك مما نشعر به اليوم من النقص في كثير من حاجياتنا ومما نعرفه من المصاعب التي تلاقيها الامم ، كبيرتها وصغيرتها ، في سبيل الحصول على ما كانت من قبل تعتمد في الحصول عليه من البلدان الاخرى التي فصلتها عنها الان الحرب او اخطارها .

وقد نتج عن اتساع نطاق هذا التبادل التجاري زيادة في ارتباط العلاقات الاقتصادية بين مختلف الدول وفي اتكالها المتبادل بعضها على البعض الآخر ، واصبح استمرار الرخاء الاقتصادي في كل منها متوقفاً الى درجة كبيرة على استمراره لدى جيرانها . فاذا لم يتمكن المنتجون في اميركا مثلاً من تصريف منتوجاتهم من القطن في الاسواق الاجنبية اصبحوا هم انفسهم غير قادرين على شراء كثير من الحاجيات التي كانوا قد اعتادوا على شرائها ، الامر الذي يسبب كساداً لدى هؤلاء الآخرين وتنتقل العدوى الى غيرهم فيعم الكساد وينتشر البؤس . واوضح اذن ان هذا التشابك الاقتصادي بين الدول يجعل من العسير على اية منها ان تمضي في سياستها الاقتصادية دون ان تأخذ بعين الاعتبار تأثير تلك السياسة ، حتى المحلية منها ، في علاقاتها الاقتصادية والسياسية بالدول الاخرى . اذ ان اهمال ذلك الاعتبار كثيراً ما يؤدي الى الخلاف ، وكثيراً ما ادى هذا الخلاف الى النزاع المسلح . نخرج مما تقدم بان تطبيق مبدأ توزيع العمل او التخصص على نطاق دولي واسع ، ذلك المبدأ الذي وجدنا فيه اهم وسيلة لتنمية الثروة الوطنية ، يخلق بين الدول كثيراً من المشاكل المعقدة التي لابد من معالجتها وحلها حلا مرضياً اذا اريد جني ثمار التخصص الى اوسع مدى . ومعالجة هذه المشاكل هي اهم ما تعنى به السياسة الاقتصادية الخارجية . ولما كان ليس في الوقت متسع لشرح هذه المشاكل جميعها نكتفي باثنتين منها على سبيل التمثيل .

ونبدأ بمشكلة اطلاق حرية التجارة او تقييدها : هل الافضل للدولة ان تبيح حرية التجارة فتسمح للتجار بالاستيراد والاصدار دون ما قيد او شرط ، تاركة سير الامور الى ما تقرره المزاحمة بين التجار وما تفرضه مصلحة المستوردين او المصدرين ؟ ام هل الافضل

للدولة ان تقيد التجارة الخارجية ببعض القيود العامــة كاخضاعها لضريبة كمركية ؟ وهل تكون هذه الضريبة عامــة شاملة جميع السلع مهما كان مصدرها ، ام تقع بثقل متفاوت على مختلف السلع والدول ؟ ام هل الافضل للدولة ان تتبع سياسة الاكتفاء الذاتي فلا تسمح بالاستيراد او الاصدار الا بالقــدر الذي تتطلبه تلك السياسة ؟ ليس من السهل الإجابة على هــذه الاسئلة ولكن من المقرر لدى علماء الاقتصاد ان اطلاق الحرية التجارية من شأنه ان يسهل مهمة التخصص الجغرافي ، مما يسبب فائدة للمستهلكين في كل البلاد في حين ان تقييد الحرية التجارية يسبب انخفاضاً في مستوى المعيشة عندهم • ومع ان هذه النظرة لا شــائبة فيها اذا اعتبرنا مصلحة العالم المادية على وجه الاجمال فان تقييد حرية التجارة قد يعود ببعض النفع على البلاد التي تتبع سياسة التقييد • على ان هذا النفع يبقى محصوراً اما بتلك البلاد او — كما هو الاغلب — بفئة معينة من اصحاب المصالح فيها • وكثيراً ما الحق الضرر بالفئات الاخرى • ولو اقتصر الامر على نفع محدود تجنيه فئة معينة لما كان في الامر كبير شر ، ولكن هذه السياسة — اي سياسة التقييد — لا بد ان تعني الحاق الضرر بالبلاد الاخرى • فلو فرضت انكلترا مثلا ضريبة كمركية على البضائع الواردة من البلاد الاجنبية فمعنى ذلك ان المصدرين في تلك البلاد لن يتمكنوا بعد هذه الضريبة من تصريف منتوجاتهم التي اعتادوا تصريفها من قبل في انكلترا — الامر الذي لا شك يعود بالخسارة عليهم — على الاقل الى ان يتمكنوا من ايجاد اسواق يستعيضون بها عن الاسواق التي فقدوها او ان يحولوا انتــاجهم الى اصناف اخرى لا تخضع للضريبة • ويجب ان نلاحظ هنا ان انكلترا قد تكون قد فرضت الضريبة لمصلحة داخلية خاصة ، كالحصول على المال مثلا ، لا قصد ايقاع الضرر بالمنتجين في البلاد الاجنبية • ولكن مهما كانت البواعث فان فرض تلك الضريبة يوقع الضرر بالمنتجين في البلاد الاخرى • ويتضاعف الضرر على المستهلكين في البلدين اذا حدث ان البلاد التي اصابها الضرر من الضريبة ردت هي الاخرى بضريبة انتقامية على البضائع التي تستوردها من انكلترا •

وتأتي بعــد ذلك مشكلة النقد او القطع • فان التبادل الاقتصــادي بين الامم لا يمكن ان يقوم على شكل مرض الا اذا رافقه نظام نقدي ومصرفي يمكن التجار في مختلف البلدان من مقابلة الاسعار وعقد الصفقات وتصفية الحسابات بطريقة ثابتة غير متقلقلة • ولكن الواقع ان كل دولة تعتبر ان استقلالها وسيادتها يحتمان عليها ان تتخذ لنفسها نقداً مستقلا يختص بها وسياسة نقدية ومصرفية تتبعها لتسهيل علاقاتها الاقتصادية مع الخارج • وكثيراً ما تستهدف هذه السياسات اهدافاً محلية ضيقة دون ان تراعي الاثر الذي لا بد ان تحدثه في الاحوال الاقتصادية في البلدان الاخرى • فاذا خفضت احدى الدول نقدها ، مثلا فان المصدرين في البــلدان الاخرى يجدون انفسهم فجأة امام مزاحمــة شديدة تسبب لهم الكســاد وقد يكونون من القوة بحيث يتمكنون من حمل حكوماتهم على اتخاذ تدابير ممــاثلة فتعرقل الحركة التجارية ويشمل الضرر المستهلكين في البلدان جميعها على السواء •

لقد حاولت فيما تقدم ان ابين ان انماء الثروة الوطنية وتزويد الامة باعلى مستوى المعيشة يتوقف الى مدى بعيد على اتباع مبدأ توزيع العمل ، لا ضمن حدود الدولة الواحدة فحسب بل ضمن نطاق العالم كله • ثم حاولت ان اظهر التشابك الاقتصادي الذي نتج عن اتباع هذا المبدأ والمشاكل التي احدثها • كذلك حاولت ، حين سردت على سبيل التمثيل مشكلتي حرية التجارة والنقد ، ان المح الى السياسة التي يحسن اتباعها في معالجة هذه المشاكل • واود الان ان اخرج من التلميح الى التصريح فاقول ان هناك مدرستين فيما يختص بالنظر الى هذه المشاكل : الاولى تقول بوجوب النظر الى هذه المشاكل على ضوء المصلحة الوطنية الخاصة دون النظر الى غيرها من الاعتبارات ، وهذه السياسة هي في نظري سياسة ضيقة مضرة لا بتبيعها فحسب بل بالعالم كله ، اذ نتيجتها المحتمة انخفاض في مستوى المعيشة وحرب اقتصادية لا بد منتهية بحرب دموية • والمدرسة الثانية تقول بوجوب التعاون مع الدول الاخرى في سبيل الخير العام ولو ادى ذلك الى التنازل عن شيء من استقلال كل دولة وسيادتها • وليس من شك عندي في ان نظرة المدرسة الثانية هي النظرة الاصح والنظرة التي تقود العالم في طريق التقدم والرقي والسلام فكما ان تآلف العائلة الواحدة لا يتم الا اذا تنازل كل فرد منها عن انانيته الضيقة ونظر الى الامور لا بمنظار مصالحه الشخصية بل بمنظار مصلحة العائلة بكاملها ، كذلك لا خلاص للعــالم الا اذا اقتنعت الامم المختلفة ان من مصلحتها جميعاً ان تعيش بعضها مع بعض في عائلة امية يحترم افرادها بعضهم بعضاً ويضحي كل منهم بقسط من سيادته في سبيل تأمين الخير الاكثر للعدد الاكبر • فعلى شباب الشرق العربي ، وبلادهم مازالت على عتبة الاستقلال ، ان يسعوا لتفهم الحقائق الاقتصادية على وجهها الصحيح ليتمكنوا من جعل كيانهم الاقتصادي سليما معافى وبالتالي ليجعلوه ركناً قوياً من اركان التعاون الاقتصادي العالمي •

منى الصواف

النشاط العقلي والروحي واثره في بناء الامة

للدكتور قسطنطين زريق
استاذ في التاريخ العربي بجامعة بيروت الاميركية

قسطني في معالجة مواضيع هذه السلسلة من احاديث الشباب نفر من رجال الفكر وقادة الرأي تناولوا البحث الخطير الذي تدور عليه هذه السلسلة — الا وهو بناء الامة — من نواحيه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فعرضوا المشاكل التي تواجهها الامة الناشئة في كل من هذه النواحي ، ووصفوا لها الادوية والحلول . وكان قسطي من هذا البحث المشترك ان ابسط الناحية العقلية والروحية من حياة الامة ، فاظهر مكانها في تلك الحياة والاثر الذي لها في بناء النهضة القومية . وقد انتهيت من معالجتي لهذا الموضوع الى نتيجة اود ان اواجه بها المستمعين الكرام في بدء هذا الحديث كي يتضح خطة البحث ويبين منهجه ومنحاه . هذه النتيجة هي ان الانتاج العقلي والروحي لامة ما ليس مجرد ناحية من حياتها تقابل النواحي الاخرى وتوازيها ، وانما هو من كيان الامة في الصميم ، ومن بنائها في الاساس ، لا يقوم مقامه في النهضة القومية الصحيحة اي عامل او سبب آخر .

فاذا نظرنا اول الامر الى عملية بناء الامة وجدنا النشاط العقلي والروحي شرطاً لازماً لاي جهد من الجهود المؤدية الى ذلك . فاقامة الدولة على اساس صحيح يوازن سلطاتها الثلاث موازنة دقيقة ويصلها بالشعب صلة فعالة باعثة على النمو السياسي والتقدم القومي — هذه العملية البنائية لا تتم ما لم يكن للعقل والتفكير حظهما الوافي فيها ، وما لم يسدها جو روحي تتجلى فيه اسمى الصفات البشرية والفضائل الانسانية . وكذا شأن الجهود الموجهة الى خلق جسم اجتماعي سليم منسجم متوازن الطبقات يتعاون افراده وجماعاته تعاوناً مفيداً في سبيل الخير العام ، فان كانت هذه الجهود مبنية على العاطفة الهائجة او القوى الجامح فلن يقدر لها حظ من النجاح او امل في الاثمار . وقل الشيء نفسه عن التنظيم الاقتصادي في داخل الامة او في علاقتها بالامم الاخرى ، فلقد اظهر التقدم البشري الحديث ان العلاقات الاقتصادية على غاية من الدقة والترابط وان حسن تسييرها يقتضي علما صحيحا واسعا ، وتكونا عقليا وروحيا خاصاً لا يأتي عفواً او اعتباطاً ، بل يستوجب ان تؤخذ له الاهبة وتعد له العدة الكافية . وهكذا الحال في كل ناحية اخرى من نواحي النهضة القومية ، لا تبلغ غايتها او تؤتي ثمارها الا اذا استوفت الشرط الاول اللازم لها ، الا وهو : نضج العقل المفكر وتدفق القوى الروحية الانسانية وصفاؤها .

ونحن اليوم ، في بدء نهضتنا القومية وفي الخطى الاولى من نشوئنا الاجتماعي الجديد ، خليقون بان نتبين لانفسنا هذه الحقيقة وبان نحلها محلها في الجهاد الذي نقوم به لانشاء حياة قومية صحيحة . غير ان الناظر في حالنا الحاضرة ليلاحظ ان هذه الحقيقة لاتزال خافية علينا وانا بعيدون عن تقدير العقل والروح تقديراً صحيحاً ومقصرون في توفيرنا لهما اسباب النمو ووسائل الانتاج . وعلة ذلك في رأيي ان نظرنا الى الغرب الناهض الذي نسعى الى تأثر خطاه نظر ضعيف خاطىء . نرى امماً تتصارع في ميدان القوة والبطش ، فنعتقد ان القوة كافية وحدها للنشوء القومي ، غير مدركين ان كل قوة لا ترتكز على عقل منظم مظهر فارغ لا بد من ان تبدده عوادي الزمان ، وان كل بطش يزدري المعاني الروحية ويدوسها ، وان ساد يوماً ، آيل حتما الى الفشل والاندثار لانه معاكس لتيار الحياة الانسانية المتقدم ابداً في جوهرها الى الامام . وننظر الى الغنى المتدفق من الامم العظمى فتدهشنا المظاهر المادية والموارد الاقتصادية الغزيرة فيخيل الينا ان هذه الموارد هي التي تتحكم في مصير العالم ، وننسى انها لم تكن لتتيسر لتلك الامم لولا العقل المبدع الذي تسلط على الطبيعة الصماء ففجرها عيوناً وينابيع تفيض بالثروة والغنى ولولا الصفات الانسانية السامية التي تجسمت في علماء تلك الامم وقادة السياسة والاجتماع فيها فابلغتها ما هي عليه اليوم من عزة ومنعة وتقدم . الامم التي تثبت آخر الامر في المعترك البشري هي تلك التي تكونت تكوناً قومياً صحيحاً واذا تفحصنا حالها وجدنا انها قد احترمت العقل اعظم احترام وفسحت له اوسع مجال وانها قامت على اكتاف افراد وجماعات توفرت لهم الصفات الروحية الممتازة . وكل ما لا يرتكز الى هذا وذاك — الى الروح المشرقة والعقل المبدع ، الى القوتين الناهضتين بالبشر عن مرتبة الحيوان — سائر لا محال الى الزوال والهلاك .

فلننظر اذن في حالنا ولنتفحص مقدار احترامنا للعقل والروح وتسهيلنا لهما سبل النمو والانتاج . اين المختبرات التي انشأناها لنخضع فيها مظاهر الطبيعة للدرس والبحث كي نتوصل الى السيطرة عليها ، بدلا من ان نبقى عبيداً اذلاء لها او للذين سبقونا بعقلهم وروحهم الى ضبطها وتسييرها ؟ اين المكاتب التي اقمناها حرماً مقدساً للعلم المستكشف المستنبط الساعي ابداً الى الحقيقة؟ اين الجمعيات العلمية التي تربط جهود العاملين في البحث والدراسة فتعزز قوامهم وتزيد انتاجها وتمكن اثرها؟ بل اين العلماء الذين انبتناهم ، واين اثارهم العلمية التي تصح ان تقارن بما ولدته الامم الغربية الناهضة، او الادباء والفنانون الذين يستحقون ان يوضعوا في مقام المبدعين؟ اين، بقول واحد، الهياكل التي بنيناها لتأمل العقل والروح وخدمتهما خدمة خالصة تشرق بها نفوسنا وتتأهب لمعالجة معضلات حياتنا ؟؟ الحق اننا ما لم نولد هذه الوسائل كلها — ما لم نرفع العقل والروح الى مقامهما الاعلى في سلم حياتنا — فعبثاً نسعى لبناء امتنا ، لان هذا البناء يظل فاسداً ما دامت هاتان القوتان لا تؤديان عملهما الحر النشيط المبدع .

على ان النشاط العقلي والروحي لا يهم كوسيلة لبناء الامة فحسب ، وانما له مقام اسمى من ذلك وارفع . فهو يعلو عن مجرد الوسيلة ليصبح الغاية التي من اجلها تبنى الامة وتعزز البلاد . اذ ما الفائدة من الاستقلال السياسي والازدهار الاقتصادي ، وسواهما من مظاهر الحياة القومية، الا ان يكونا سبلا الى الانتاج العقلي والاثار الروحي . ليس الاستقلال غاية في نفسه ، وليس من امة سجلت لذاتها ذكراً في التاريخ لمجرد انها كانت مستقلة ، وانما يتوقف مكانها على كيفية استعمالها لذلك الاستقلال وعلى المدى الذي بلغته في احياء قوى العقل والروح واستخراج كنوزهما الثمينة . وكذلك الغنى المادي : ليس خيراً في نفسه وانما هو اداة عظيمة الخطر قد تؤدي الى الخير او الى الشر تبعاً لما يحركها من الصفات او الغرائز البشرية . فاذا جئنا اذن نحكم على مدنية من المدنيـات لم نتخذ اساساً لحكمنا مقدار ما وفرته لنفسها من وسائل الحكم والسلطة والثروة المادية ، بل نظرنا في نوع استخدامها لهذه الوسائل في سبيل الغاية التي يسعى اليها التقدم البشري على الاطلاق : الا وهي رقي العقـل وانطلاق الروح . ما شأن مدنيتنا العربية مثلًا لو ان اجدادنا اقتصروا على فتح البـلاد وحكم الامصار ، ولم ينموا بخدمة العلم عقولهم وعقول من اتصل بهم من الشعوب ، واي خطر يكون لتلك الحضارة في مجرى التاريخ لو انهـا كانت خالية من المعاني الروحية السامية التي تجلت في سير الممتازين من حكامها وعلمائها وادبائها — بل من بعض عوامها الذين حفظ لنا التاريخ لهم ذكراً . ان جوهر المدنية العربية الذي يبقى بعد ان تنقى من جميع اعراضها ومما تعلق بها على ممر الزمن انما هو نوع نشاطهـا العقلي والروحي وقيمة نتائجه واثره في التقدم البشري الصحيح — ذلك التقـدم الذي يقاس برقي الميزات الخاصة بالانسان كانسان : اي بصفاته العقلية والروحية دون سواها .

هذا هو ، في نظري ، مقام النشاط العقلي والروحي من حياة الامة وموضعه من بنائها : انه الشرط اللازم لتلك الحياة لا يمكن ان تقوم او تثبت بدونه ، بل الغاية التي من اجلها تبنى الامة وتصنع حياتها . وانا ، اذ اقول هذا ، اشعر انني لا ارضي فريقاً من مفكرينا وحملة الاقلام بيننا — اولئك الذين لا يؤمنون الا بمظاهر القوة الجسدية والصراع الدموي ولا يقيمون وزنا لغير المادة في تقدم البشرية . فالمادة عندهم اساس الكون ، ومصدر الفكر ، واب الحياة والتاريخ ، واليها مرد كل شيء . فكل كلام عن الروح هو في رأيهم نوع من الهذر والوعظ الفارغ بل ضرب من التضليل لانه ينقل الناس من واقع الحياة الى عالم الغيب حيث الضياع والميعان بدلا من الحقيقة الثابتة والامر الراهن . وكل ذكر للعقل مجرد عن المادة التي يصدر في رأيهم عنها ويخضع لها يقلب الاوضاع رأساً على عقب ويبدل بصحيح الاشياء باطلها . ان موقف اصحاب هذا الرأي هو في نظري موقف خاطىء مبطل للحقيقة . فالمادة بنفسها خرساء صماء لا تتحرك الا اذا اشرقت عليها اشعة العقل فاحيتها ونبتت فيها بذور الروح فازهرتها . فهي الاداة التي يستخدمها العقل والروح في سبيل تقدمهما ، لا مصدرهما الاول وغايتهما الاخيرة كما يتوهمون .

فعلى الذين يضعون انفسهم في مقام المفكرين ويتميزون عن غيرهم بهذا اللقب — على هؤلاء على الاقل — ان يعرفوا للفكر مقامه المتقدم ويقدروا القيم الروحية قدرها وان يتبينوا لانفسهم اولا ثم لابناء الامة ان الغرب الحديث لم ينهض الا على هذين الاساسين ، وانه اذا كان يفوقنا وامثالنا من الشعوب الاخرى فبهذين العاملين، وان كل ما عداهما مظهر لهما ونتيجة عنهما، اننا اذا اردنا لانفسنا نهوضاً صحيحاً ومن ثم مقاماً محترماً بين الامم او ذكرا في التاريخ ، فلن يتأتى لنا هذا الا اذا نشطنا في ميادين العقل والروح نشاطاً حياً مبدعاً مجدداً لقوانا في جميع النواحي الاخرى من حياتنا .

قسطنطين زريق

التربية القومية

للدكتور جميل صليبا
رئيس التعليم الثانوي بوزارة
المعارف السورية

الموضوع

الذي اريد ان اتحدث اليكم به في هذا المساء هو التربية القومية ، وهو من الموضوعات القديمة التي بحث فيها الفلاسفة ورجال الدولة منذ زمن بعيد ، فلست اطمع اذن بابتكار شيء جديد فيه او اقول شيئاً لم يقله غيري من قبل . وما اغراني بانتخاب هذا الموضوع للتحدث به اليكم الا ما نشاهده في ايامنا هذه من النزعات التي تريد ان تصوغ الانسان في قالب الجماعة ، وتصهر الفرد في بوتقة الامة ، وتجعل القومية غاية التربية .

فالدول الديموقراطية تريد ان يكون الكمال الفردي غاية التربيـة والحضارة ، والدول الديكتاتورية تريد ان تكون الجماعة محور الثقافة والتعليم ، ولكل من هذه النظم مبادئه ووسائله ، واهدافه وغاياته ، ومعابده وعباده . فالمدرسة عند الديموقراطيات تريد ان تكون مستقلة عن السياسة غايتها تنشئ الفرد على مبادئ الحرية والمساواة والاخاء ، واعداده للحياة الانسانية الكاملة وتعويده البحث الحر ، والمناقشة والانتقاد . والمدرسة عند الديكتاتوريات تابعة للحزب السياسي ، والطالب جندي متمرن ، والامـة جيش مسلح ، والبندقية وسيلة من وسائل التعليم كاللوح والقلـم والكتاب وغيرها ، والوحدة التربوية هي الجماعة السياسية ، وجوهر الجماعة هو العرق ، ومادة العرق هي الدم .

فمن المغالاة اذن ان نقول ان هذا الموضوع هو موضوع هام جداً ، وان معرفة الغاية التي يجب ان نرمي اليها في تربيتنا القومية هي من المسائل الحيوية التي يجب ان نفكر فيها في كل وقت لنتمكن من بناء صرح استقلالنا الجديد على اسس ثابتة .

هناك امر لا شك فيه ، وهو اننا شرقيون نعيش على سواحل البحر المتوسط ، في جو له من السعة والجمال ما لنور الشمس المشرقة من الصفاء ، وما لنسمات الصحراء من العذوبة ، وما لمياه البحر من الحياة ، فنحن شرقيون اولا بلغتنا وماضينا ، ونحن شرقيون ثانياً بدياناتنا وحضاراتنا وتاريخنا . ولا نستطيع ان نقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، وبمقدار ما نقيم مستقبل استقلالنا على اساس الحاضر والماضي نجنب انفسنا كثيراً من الاخطار .

وهناك امر اخر لا ريب فيه وهو اننا غربيون بالنسبة لبلاد الشرق الاخرى ، لاننا كما قلت ، نقيم على ساحل البحر الابيض المتوسط ، ونحن متوجهون بانفسنا الى الغرب لاقتباس ما يمكننا اقتباسه من علومه ونظمه وصور حياته . وليس بيننا وبين الغرب اختـلاف عظيم كالاختلاف الذي نشاهده بين الياباني والاميركي او بين الصيني والانكليزي ، بل نحن امة اقتبست علومها في الماضي عن اليونان ، واتصلت بالغرب ، كما قبس الغرب عنها علومه في القرون الوسطى ، وكما اخذنا اليوم ننقل علوم الغرب وآدابه الى لغتنا وحضارتنا . فليس بين الشرقي والغربي عندنا اختلاف عميق ولا صراع مخيف ، بل ان تمازج الثقافات في تاريخنا يجعلنـا قادرين على الجمع بين الشرقي والغربي من النظم والقوانين ، ويساعدنا على اقتباس العلوم والاداب مهما بعدنا بحسب الظاهر عن حياتنا الحاضرة . انا من اشد الناس اعتقاداً ان هذا الاختلاف بين الشرقي والغربي من الثقافات انما هو وهم باطل . وانا مقتنع كل الاقتناع بان الثقافة الصحيحة ليست شرقية ولا غربية ، بل هي واحدة مهما اختلف الزمان والمكان . فالشعب الواحد يستطيع ان يتلقى ثقافات مختلفة . كما ان الثقـافة الواحدة يمكن ان تزدهر عند شعوب مختلفة ، ولا صحة لما تدعيه الديكتاتوريات من الاوهام الجنسية والعرقية ، بل الامر في ذلك يجب ان يرد الى التاريخ ، وما ينفجر عنه

من ينابيع الثقافة والنور والحضارة . ولو كان تاريخ الامم كلها واحداً ، لكانت ثقافاتهم كلها واحدة ، فالثقافات لا تختلف اذاً الا باختلاف التاريخ ، ولكل جماعة من الجماعات قوانين طبيعية ، فاذا كان اختلاف ثقافتها عن غيرها من الامم يرجع الى اختلاف تاريخها فان اشتراكها كلها في عناصر ثقافية واحدة يرجع ايضاً الى طبائع الاشياء ، ويبنى على وحدة الطبيعة البشرية . وفي كل ثقافة من هذه الثقافات سواء أكانت صينية يابانية ، ام هندية فارسية ، ام يونانية عربية ، ام لاتينية اوروبية ، عناصر انسانية واحدة تستطيع ان تجعلها كل امة من الامم محور تربيتها وغاية تعليمها .

فنحن اذن متصلون بتاريخنا من جهة ، ومدفوعون الى الحياة الاوروبية الحديثة دفعاً عنيفاً ، من جهة اخرى ، ولكننا نستطيع بين هذا وذاك ان نجعل غاية تربيتنا القومية انسانية خالصة ، مبنية على مبادىء الحرية والكمال الفردي ، وهذا المثل الاعلى الانساني كان ولا يزال جوهر العرب والاسلام . فالعرب فرديون الى ابعد درجات الفردية ، وديموقراطيون الى اقصى حدود الديموقراطية ، والاسلام لم يفرق بين العربي والاعجمي الا بالتقوى ، ولا وضع حداً لطالب العلم ، ولا قيد حرية البحث ، بل امر بالمعروف ونهى عن المنكر ، حتى جمع بين لذه العقل والروح والقلب ، « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابهاً » .

فالديموقراطية والانسانية والحرية هي المبادىء العامة التي يجب ان تبنى عليها تربيتنا القومية ، وكل تربية قومية عربية لا تعمل بهذه المبادىء تصير الى الزوال ، لانها لا تتفق مع عبقرية الامة العربية ولا مع ماضيها وتاريخها . ان احسن دليل على ذلك التجربة التي قام بها اخواننا العراقيون في مدارسهم ، فقد جعلوا نظام الفتوة اشبه شيء بنظام الجندية السياسي الذي تريد بعض الديكتاتوريات ان تسير عليه في مدارسها . فلم يمض على هذه التجربة الا القليل حتى اخفقت ورجع العراق الى مبادىء التربية الديموقراطية الحرة والانسانية العامة .

كل ذلك يدل على ان تربيتنا القومية يجب ان تبنى على المبادىء الآتية :

١ — يجب ان تكون تربيتنا القومية عربية ، ونقصد بذلك تعليم الطلاب لغة عربية صحيحة ، واطلاعهم على تاريخ الامة العربية وآدابها ، وجغرافية البلاد العربية ومعرفة آثارها الخالدة وتطور الامة في نهضتها العلمية والادبية والصناعية والتجارية ، ودراسة عاداتها واخلاقها وتطور عمرانها وما بيان علاقاتها بالامم المجاورة .

٢ — يجب ان تكون تربيتنا القومية مبنية على الاتحاد الوطني ، اي يجب على الطلاب ان يعرفوا واجباتهم الوطنية والمدنية ، وان تنزع من قلوبهم روح التعصب والاقليمية والطائفية .

٣ — يجب ان تبنى تربيتنا على انماء شخصية الطالب وتعليمه مبادىء الحرية والمساواة ، وتعويده التفكير الحر والعمل الشخصي ، ويجب ايضاً ان يقوى جسمه وارادته واخلاقه وان تحترم شخصيته وان يألف روح المحبة والاحسان والاعتماد على النفس وان يتعود شظف العيش وغير ذلك من المقومات الاخلاقية العامة .

٤ — يجب ان تؤدي تربيتنا القومية الى استثمار موارد البلاد الطبيعية ، وان يكون للناحية العملية فيها اثر عظيم .

٥ — يجب ان تكون لتربيتنا القومية غاية اجتماعية واسعة فلا يكون اهتمام الدولة بتعليم ابناء القرى اقل من اهتمامها بتعليم ابناء المدن ولا تكون عنايتها بالبدو اقل من عنايتها بالحضر .

٦ — ويجب اخيراً ان تكون غاية تربيتنا القومية الجمع بين الماضي والحاضر وبين الشرقي والغربي ، وان يؤدي تمازج هذه العناصر المختلفة الى خلق روح انسانية عامة ، محيطة بالروح الوطنية .

هذا حلم لذيذ تتذوق فيه النفس حب وطنها وحب الشرق ، وترغب في ان ينتصر وطنها على الخطوب وان يثبت للاحداث ، وان يظفر بحقه في الحياة في هدوء وأناة وثقة بالنفس وايمان بالحق والكمال الانساني .

جميل صليبا — دمشق

بناء الأمة (١٠)

واجب المثقفين في بناء الامة

نشرت « الاديب » نص المحاضرات العشر التي اذيعت من محطة راديو الشرق ، مساء كل خميس في موضوع « بناء الامة » وقد ختم هذه السلسلة معالي وزير التربية الوطنية الاستاذ جورج كفوري بالحديث التالي :

ما برح العلماء والفلاسفة من اقدم ازمنة التاريخ الى هذا العهد يبحثون عن المثل العليا للمجتمع الانساني ويضعون النظم التي يخيل اليهم انها اصلح لسياسة الامم واضمن لتحقيق خيرهم وسعادتهم . فمنذ ثلاثة وعشرين قرناً ونيف تخيل افلاطون مدينته الفاضلة تتألف من ثلاث طبقات وتتولى الحكم فيها الطبقة الاولى : طبقة الفلاسفة والمفكرين لانهم وحدهم يستطيعون تصور الخير وتحقيقه . ولذلك فهم وحدهم يستطيعون تدبير الحياة الفردية والاجتماعية . ومهما قيل في مدينته هذه من انها خيال محض وانها حلم لا يمكن تحقيقه فاننا لا نخالف صاحبها في ان طبقة الفلاسفة والعلماء هي من سائر الطبقات بمنزلة العقل من الفرد ، وان مفكري الامة ومثقفيها ينزلون منها بحكم ثقافتهم منزلة الرأس من الاعضاء ويلزمهم بذلك ان يتولوا قيادتها في سبيل الحياة وتسديد خطاها نحو المثل العليا . واذا كانت هذه الطبقة لا تتولى بوجه الاجمال حكم الامم مباشرة فهي التي ترسم الخطط للحكام وتضع لهم المناهج القويمة التي يحكمون بها الامم ويحققون آمالها الاجتماعية والقومية . واول ما ينبغي للمثقفين الذين يساهمون في اقامة بناء الامة القومي ان يبلغوا من الرقي العقلي والخلقي مرتبة تؤهلهم لان ينزلوا من الامة منزلة المعلم من المتعلم وان يقدروا اهمية الرسالة التي اخذوا على انفسهم الاضطلاع بها ليمكنهم ان يؤدوها حق ادائها . فاذا ما تم لهم هذا الاستعداد العقلي والخلقي كان عليهم ان ينظروا في حال امتهم نظرة تفصيلية دقيقة يتفحصون بها تكوينها المادي والروحي ليتبينوا فيه مواطن العلة ومواطن العافية ويتعرفوا وجوه الضعف ووجوه القوة . ان عليهم ان يجدوا حقيقة الامة المطلقة ، حقيقتها الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والروحية والعقلية . وانما حقيقتها المطلقة مرسومة في مجموعة العناصر التي تكونها . جاء في كتاب « مبدأ القوميات » لرنه جوهانه تعريفات كثيرة للامة في جملتها هذا التحديد : « الامة جماعة من الناس لهم اصل واحد ولغة واحدة ودين واحد ولهم عادات واحدة وتاريخ واحد وقوانين واحدة وتجمعهم الارادة لان يعيشوا بعضهم مع بعض » . والذي يلفت النظر في هذا التحديد ان واضعه قد جعل لارادة الاشتراك في الحياة القومية مكانها من الاهمية ، بل جعلها شرطاً من شروطها ، فأصبح من واجب المثقفين الذين يعنون باقامة بناء الامة ان يقيموا لهذه الارادة وزنها ويراعوها المراعاة التي تستحقها ، وهي لا تتم بالقوة والاكراه بل باقتناع الجماعات الذين يعيشون معاً ، بان من الخير لهم ان يعيشوا جماعة واحدة . وأصبح من اهم ما يجب ان تتجه اليه جهودهم خلق تلك الارادة الجامعة واقناع الجماعات التي توفرت لهم عناصر القومية المختلفة ان مصلحتهم انما هي في ان يعيشوا بعضهم مع بعض امة واحدة . بل من اهم الواجبات التي يلزمهم القيام بها ان يعدوا الناشئة اعداداً يؤهلها لان تريد العيش مجتمعة وترغب فيه . ولا ريب ان اول ما يبدو للناظر في حاضر هذه الامة انها قد انتهت الى حالة من الانقسام وتفكك الاوصال والانصراف عن العمل التعاوني الجامع الى العمل الفردي المفرق تزيد مشكلتها الاجتماعية والقومية صعوبة وتعقيداً وتكاد تبعث اليأس في نفوس المفكرين الذين يرومون اصلاحها ويلتمسون العلاج الناجع للحؤول دون انحلالها وانهيارها .

نعم ، يحق للناظر ان يقول في نفسه ان الامة التي تعاونت على تمزيق شملها ، اساليب تربيتها البيتية ومناهج تعليمها المدرسية وتعدد مذاهبها الدينية وتباين تقاليدها الاجتماعية ومنازعها القومية وتضارب السياسات التي تعاقبت عليها من اقدم الازمنة الى هذا العهد يعسر جداً ان يجمع اشتاتها ويوجهها نحو هدف قومي واحد مقال ينشر في صحيفة او خطاب يلقى عليها من المذياع في فوائد التضامن القومي . يهول المفكر انه لا يواجه في هذا معضلة عصر واحد فحسب ، بل معضلة عصور تعاقبت وتجمعت عللها ونقائصها حتى انتهت الى العصر الذي يعيش فيه .

ولعل اعظم ما يتهيبه جماعة المثقفين الان ويساورهم فيه الشكوك ان يقدموا على بناء امتهم الضعيفة الناشئة في زمن عصفت فيه اعاصير الحرب وطغت القوة المادية المخربة على كل شيء . حتى لم يقف امام سيلها الجارف كثير من الامم الكبيرة ذات السعادة والمنعة والحول والطول .

ولكن قليلاً من التفكير يرينا انه قد يكون للحرب الهدامة حسنات لا تقل عما لها من السيئات . فان كثيراً من الثورات الفكرية والنهضات الاجتماعية التي يحدثنا عنها تاريخ الامم لم تكن الا اثراً من الاثار التي تخلفها الحروب وراءها بعد ان تخمد نارها ويهدأ اعصارها .

ان الحرب اقوى عامل يوقظ الامم من غفلاتها اذ انها تبعث في نفوس ابنائها الشك في صلاح النظم القديمة التي ألفوها والتقاليد الجامدة التي ورثوها وتكون اقوى حافز لهم على التماس نظم ومبادىء حديثة قد توفر لهم من الخير والسعادة ما عجزت عنه النظم والمبادىء القديمة .

في مثل هذه الحال المؤاتية يجب ان ينشط العاملون في مضمار البناء القومي الى القاء تعاليمهم مادامت الاذهان اشد ماتكون تأهباً لقبولها واحتياجاً الى الاهتداء بنورها . ولكي يستطيع معشر المثقفين ان يقيموا لهذه الامة بناء قوميتها على الوجه الاتم يجب ان يرسموا لهذا البناء خطة كالخطة التي يرسمها المهندسون لكل بناء، ثم ينبغي ان يتعاونوا في العمل تعاوناً منظماً حتى اذا عمل كل منهم في ناحيته كانت نتيجة اعمالهم وحدة كاملة لا اكواماً من الحجارة مرصوفة من غير نظام . وقد رأينا في هذه السلسلة من الاحاديث التي وجهها الى الشباب من هذه المحطة نخبة من المفكرين والتي اتشرف باختتامها اليوم مثالاً حياً على التعاون الذي يجب ان يتعاونه المثقفون في بناء الامة . فقد حدثنا الاديب والقانوني والصحفي والاقتصادي والكاتب الاجتماعي والمؤرخ المفكر والمربي الحكيم عن نواح متعددة من اسباب حياة الامة ومقومات بنائها ودلنا كل من هؤلاء العاملين على مواطن الضعف وهدانا سبيل الاصلاح . لقد سلك كل منهم سبيلا ولكنهم التقوا جميعاً عند هدف واحد هو خدمة هذه الامة واقامة بنائها القومي . فاذا ما شفع الباحث من امثالهم قوله بالعمل الذي يستطيع ادّى الواجب عليه في بناء الامة خير اداء .

هكذا يجدر بالعالم في ما ينتجه من آثار علمه والشاعر في ما يتغنى به من رقيق شعره والصحفي في ما يدبجه من شائق فصوله والمعلم في ما يلقيه من بليغ دروسه يجدر بهؤلاء جميعاً ان يجعلوا الفكرة القومية رائدهم وخلق الارادة الجامعة غايتهم في كل ما ينتجون ومايكتبون ويعلمون، يجمع بينهم في كل ذلك شعور شامل توجده فيهم الاحداث والمحن التي يشتركون في تحمل اثقالها ومقاساة اهوالها على السواء .

ان لكل مثقف طريقين في بناء الامة : الاول انشائي والثاني توجيهي . اما الانشائي فهو في اتقان العمل الذي يتولاه فاذا ما اخلص كل فرد في عمله وتوخى فيه التحسين والاتقان فكأنما هو قد رصف حجراً جيداً محكم القطع والوضع في صرح بنائها . واما التوجيهي فهو الذي يقوم على ارشاد الاخرين من افراد الامة الى الخير الذي دل عليه العلم والثقافة في كل ناحية من نواحي الحياة المادية والروحية .

فالزارع المثقف يستطيع ان يوجه الفلاح الجاهل توجيهاً فنياً يحسن نوع ما تنتجه ارض الوطن ويكثر كميته .

كذلك يستطيع المعلم ان يوجه التلميذ توجيهاً فكرياً فيه صلاحه وصلاح المجتمع . وفي معاهد التعليم خاصة تتجلى خطورة الرسالة التي يؤديها المعلم اللبناني لامته اذ يعلم ناشئتها انهم اخوان في الوطنية مهما تعددت مذاهبهم الدينية ولا يبرح يتعهد شعورهم القومي بعناية واخلاص ويعمل على احيائه وانمائه وتغذيته بتعليم لغة الوطن وتاريخه وسير اعلامه ومشاهير رجاله فيخرجون بعد قليل الى العالم وقد تمكن حب الوطن من نفوسهم وحل بينهم التفاهم والوئام محل التباغض والانقسام . المعلم في المدرسة يعلمهم ان التباغض بين ابناء الامة الواحدة باسم الدين ليس من الدين في شيء، لان الدين الخالص كما قال احد العلماء « يتسع صدره لكل شيء حتى لمخالفيه ومحاربيه » .

ويعلمهم ان التباغض والوطنية لا يجتمعان لان الوطنية كما قال احد كبار الادباء « لا تولد بغضاً الا في العقول المحدودة والقلوب الضيقة التي لا تتسع لفهم التضامن الانساني فلا تدرك ان مصير طائفة من الناس متصل في هذه الدنيا بمصير الناس اجمعين » .

ان بناء الامة عمل خطير شاق ينبغي ان يتم في نظام وروية لانه ان لم يكن منظماً ذهبت الفوضى بنتائجه، وان فاتته الروية فانه يخشى ان تلتوي على العاملين السبل، فيفرقون من حيث يظنون انهم يجمعون، ويهدمون من حيث يتوهمون انهم يبنون .

وبناء الامة يحتاج فوق العلم الى كثير من العزيمة والصبر والاخلاص والتضحية واحترام النفس والثقة بها ، هذه الخلال التي اجتمعت لذلك الفيلسوف الذي يحدثنا عنه كتاب كليلة ودمنة : لقد بلغ من احترامه لنفسه وايثاره لخير شعبه انه قال : « ولقد كرهت ان يموت الملك او اموت وما يبقى على وجه الارض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي فلم يرده عما كان عليه ، فرأيت ان اجود بحياتي فاكون قد اتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي عذرا . »

فاذا بلغ الشعور بالواجب من نفس امرىء هذا المبلغ حتى صار يرى انه يلزمه من القيام به والحرص عليه فوق ما يلزم سائر الناس، وانه من الغضاضة عليه ان ينزل بامته ضيم في عهده او يصيبها وهن في اركانها او تصدع في بنيانها ويقول الناس من بعده : « كان ذلك في عهد فلان، ولم يجد بحياته في سبيل انقاذها » متى بلغ الشعور بالواجب من نفس امرىء هذا المبلغ فقل : هذا الرجل قد وصل الى المرتبة العالية التي يتبوأها كبار المفكرين والمصلحين الذين ترسلهم العناية هداة للامم يهدونها سبيل خيرها وسعادتها، وبناة يقيمون حريتها وسعادتها .

جورج كفوري



شجينا ساهرين على عتابٍ   تُشق له وتلتئم الجراحُ
تقول : أظنّ حبكَ غير حقٍّ ،   أراكَ ضحكت والشعراء ناحوا
سلي الشعراء هل وجدوا كوجدي؟   ولكنّي صبرتُ له وباحوا
اراقوا دمعهم ، وخنقت دمعي ،   شقيت بكبريائي واستراحوا !.

*

وعاد الليل في الوادي حواشي   تلملم عنه ، او حجباً تراحُ
وكنّا في ضمير الليل سراً   فأوشك ان يبوح بنا الصباحُ...

رئيف خوري — طرطوس

بلاد دينها في فمهـا

لميخائيل نعيمه

ما عرفتُ بلاداً أمرعَ الدين في فمها وأجدبَ في قلبها الى حدّ ما هي الحال في هذه البلاد . فمآذنها الباسقة ، واجراسها الصدّاحة ، وعيدان منابرها ، وحجارة معابدها ، ومقاعد مدارسها تتجاوب في كل يوم بذكر الواحد العليّ العظيم ، وبمجده وبحمده . فهو أرحم من رحم ، وأعدل من حكم . وهو القدير العليم ، والسميع المجيب ، والوهّـاب الكريم . وهو مقدّم الارزاق والاعمار ، ومسيّر الاكوان والاقدار ، وهو خالق الكلّ وابو الكل . منه الثواب واليه المآب وعليه الاعتماد والاتكال .

وما اكثر الآيات المنزلة والامثال السائرة التي خلقتهـا الفطرة الدينية في هذه البلاد ، والتي تلوكها بغير انقطاع ألسُن الكبار والصغار من عـامة وخاصّة ، ومن معمّمين ومقلنسين ، سواء في ذلك السهل والصحراء ، والجبل والساحل ، والمدينة الكبيرة والمزرعة الحقيرة . فللولادة آيات وامثال ، وللزيجة آيات وامثال ، وللموت آيات وامثال . ومثلها لكل عمل يعمله الناس ، وكل نية ينوونها ، ولكل وقفة وقعدة من وقفات الحياة وقعداتها ، وكل بسمة وعبسة من بسمات الايام وعبساتها .

ان بلاداً آمنت بالله وباليوم الاخير ، ثم اشركت الله في كل احوالها ، وجعلته القيّم على افكارها واعمالها . فلا وجود لها الاّ في وجوده ، ولا مشيئة الاّ من علمه ، ولا قـدرة الاّ من قدرته .

ان بلاداً ذاك شأنها مع الله لبلاد اقلّ صفاتها شجاعة روحية لا ينال الخوف منها مأرباً ولا يأخذ الشك منهـا مأخذاً . تقابل الموت بمثل الرضى الذي تقابل به الحيـاة . ولا تطمع من حطام الارض باكثر من خبزها الجوهري ، وكسائها الضروري ، ومأوى يقيهـا عاديات العناصر . تسخر بالحزن والفرح على السواء . وتكبر على الذل والكبرياء . وتأنف الشقـاق والخصام ، ولا تتدنس بالبغض والحقد والنميمة ، بل تحمل في قلبها لكل ابنـاء الله محبة الشقيق للشقيق ، واخلاص الرفيق للرفيق .

ولكن أين تلك الشجاعة من هذي البلاد ؟ بل أين هـذي البلاد من تلك الشجاعة ؟

ألعلّ بين ألسنة الناس هنا وبين آذانهم ثم بين آذانهم وقلوبهم مسافات كالتي تفصل الارض عن زحل ، فلا يسمعون ما يقولون ، وان سمعوا فلا تنبض قلوبهم بمـا يسمعون ؟ والاّ فمن أين للخوف والموت ، والشقاق ، والبغض ، والتكالب على حطـام الارض هذا السلطان الذي لها في هذه البلاد ؟

ما اخال ان تحت القبة الزرقاء بلاداً عشش الخوف في جماجمها ، ومشى الهم في مفاصلها ، وتحصّن الحقد في قلوبها ، وخيّم الحزن في احشائها نظير بلادكم وبلادي . فهي ترتعد فرائصها لاقلّ غمامة تعدو ، وريح تنفخ ، ورعـد يقرقر ، وشبح يطل ولو على الافق البعيد . واما خيـال الموت فيسحقها سحقاً وهي التي تشهد في كل يوم من الاسبوع ، وفي كل اسبوع من الشهر ، وفي كل شهر من السنة بانها « تترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العتيد » . وهي التي تردد من على منابرها « وكنتم امواتاً فاحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون » . وهي التي يطيب لها التمثل بايوب « الرب اعطى والرب اخذ . فليكن اسم الرب مباركاً »

يمر بها الموت فيصرع ايمانها ، ويقطع نياط رجائها ، ويقوض حصونها على رأسها ويتركها في ظلمة دامسة من الحـداد ، تشرق بالدمع ، وتشهق بالتفجع ، وتبح بالنوح والعويل . فلا عزاء ، ولا رجاء . بل عتب على الخالق لماذا خلق . حتى وتأنيب له لانه اعطى ثم ندم فاسترد .

ليت شعري ، لماذا يضن ابناء هذه البلاد بحياتهم ، وبمـاذا عساهم يضنون اذ يضنون بها على الموت ؟

انهم ليضنون برجل تسعى ان تكف عن السعي وبماذا تسعى — ألى الهاوية ام الى القمة ، وبالخلاص لها وللناس ام بالهـلاك لهم ولها — فامر لا يشغل بالهم على الاطلاق .

وانهم ليضنون بعين تبصر ان يفارقها البصر . اما ماذا تبصر — أحسناتها وسيئات الغير ، ام سيئاتها وحسنات الغير . أجمـال الحكمة السرمدية ام قباحة الجهل الذميم — فلا عبرة في ذلك البتة .

وانهم ليضنون برئة تتنفس ان تصبح عديمة النفس . اما ماذا

تتنفس — أبلسماً للناس ام سماً زعافاً — فلا فرق عندهم ولا تمييز . وانهم ليضنون بقلب ينبض ان يغدو عديم النبض . اما بماذا ينبض — أببهجة الايمان المطمئن أم بلدغات الحيرة المذعورة — فالوجهان عندهم سيان .

وانهم ليضنون بلحمة ناطقة في الفم ان تمسي عاجزة عن النطق . اما بماذا تنطق — أبالبركات ام باللعنات، أبالمكر ام بالوفاء ، أبالبغض ام بالمحبة — فما ذاك من الاهمية في شيء .

انهم يضنون لا بالحياة بل بمعيشة تربع الموت في كبدها وقلبها، وسيطر الخوف على مداخلها ومخارجها . اما الحياة التي هي اكثر من معيشة والتي هي السلك السري الواصل الخالق بمخلوقاته، والتي لا غاية منها الا الوصول بالانسان الى ربه فما يعرفون لها قيمة ولا هم بها ضنينون .

اسفي على هذه البلاد — بلادكم وبلادي — تؤثر بقاء فيه موتها على موت فيه حياتها . فتسعى وراء رزقها لا لغاية الا ليبقى لها النفس في صدرها . وتحافظ على النفس في صدرها لا لقصد الا لتبقى في مفاصلها حركة . وتحترس على الحركة في مفاصلها لا لمرمى أبعد من ان تسعى وراء رزقها .

الا ليت ما في فمها من ايمان كان في قلبها ، اذن لما سيطر الموت على افكارها ومشاعرها الى مثل هذا الحد ، ولما شاع مثل هذا الحزن ، ومثل هذا الانسحاق في ناظريها ، وفي صوتها، وفي كل حركة من حركاتها وسكنة من سكناتها . فمآتمها ضروب من اليأس الظافر والحزن المعتز بذاته . واعراسها مآتم وزغاريدها ولولة ، وتهليلها اعوال، وضحكها بكاء جموح ، وخمرتها دم مسفوح .

لو كان في قلبها مثل ما في فمها من الايمان لما كان هذا التكالب الذي نشهده فيها على الدرهم والدينار ، ولما كان ابناؤها كالذئاب يفترس الاخ اخاه ، ولا كالذباب يعيشون من قروح الناس واوجاعهم . فلا يأنف من عنده الف رغيف من ان ينتشل اللقمة من فم من ليس عنده ولا رغيف . ولا من عنده الف ثوب من ان ينتزع الاسمال عن بدن المقرور ، ولا من يملك داراً بعد دار من ان يرفع السقف من فوق رأس ضرير فقير . فكأن لا قيمة للدماء المتفجرة من عروق البشرية شرقاً وغرباً ، ولا معنى للزفرات المتصاعدة من صدورها ، ولا مغزى للعبرات المنهمرة من مآقيها الا على قدر ما تتمكن هذه البلاد من تحويلها الى دنانير ودراهم . وكأن ما من وجه يلوح لها من خلال ما هو جار في الارض سوى وجه الفلس الصبوح العزيز . فيا ويلها من وجه ربها !

افما كان الاليق بها ان تقول : توكلت على الفلس كيفما جاء ومن اينما جاء ، بدلا من ان تقول : توكلت على الله ؟

ومن ثم فلو انها كانت مع الفلس في خير لكانت بعض المصيبة . ولكنها والفلس في عراك لا هدنة فيه ولا رحمة . فالمال يصبح اسيرها حتى تصبح اسيرة له . وما ان تنفقه حتى ينفقها . فهو ابداً الغالب وهي المغلوبة . وهو السيد وهي العبدة .

اقول ثانية — الا ليت الدين الذي في فم بلادكم وبلادي كان في قلبها . لان ديناً تزرعونه في الفم دون القلب لدين لا يزهر ولا يثمر . وان ازهر فرياء فيه الف وباء . وان اثمر فثمارها تعافها الملائكة ولا تستلذها الا الشياطين . وثماره تعصب يعمي البصيرة والبصر ، وحقد ينهش شغاف القلب ، ومرارة تتغشى في جوانب النفس فتقلب حقها باطلًا ونورها ظلاماً .

من كان دينه في فمه دون قلبه كان قيما على ربه لا ربه قيما عليه . فكأنه يقول لله : لقد آمنت بك يا الله وبعلمك وعدلك وقدرتك . لكنني اعرف منك بسياسة عبادك . فسأجعل كل الناس يعرفونك مثلما عرفتك ويعبدونك مثلما اعبدك . ومن شذ منهم قتلته ان لم يكن بساعدي فببغضي وانتقامي . ولكنني اعدل منك . وعدلي في ان أرحم من جاراني في عبادتك واقتص ممن عاداني وناوأني . ولكنني اقدر منك . وقدرتي في ان اسلب من لا يشهد بك شهادتي الحياة التي اعطيته اياها كيما يعرفك ويشهد انك ابوه وابي وابو الخلق اجمعين .

ان امة دينها في فمها دون قلبها لامة لا تعرف التعاون وامة لا تعرف التعاون لا تعرف الاخاء . وامة لا تعرف الاخاء لا تعرف المحبة . وامة لا تعرف المحبة لا تعرف الله . وامة لا تعرف الله لا حياة لها .

الا انني لست بيائس من امتي وحياتها . فالخميرة الصالحة المخزونة في قلبها منذ فجر الزمان لخميرة لا تفسدها تقلبات الزمان فهي وان لفها الجهل بالف خمار لا بد من ان تمزق لفائفها عند ما يأتي الاوان — وهو آت من غير شك — فتمتد في القلب وتمتد الى ان يختمر بها كل ما في القلب من شهوات ونزعات فلا يبقى فيه غير ايمان لا يتزعزع بأبوة الله واخوة الناس في الله . واذ ذاك فلسان امتي سيتكلم من فضلة قلبها ، لا قلبها من فضلة لسانها ، وستكون امتي رسول خلاص وبشير حياة لنفسها وللناس اجمعين .

ميخائيل نعيمه

بقايا الاعجمية في لغة لبنان العامة

لشفيق طباره

اجمع فقهاء اللغة على ان الكلمات تنتقل من لغة امة الى غيرها بحسب العلائق التي تنشأ وتتوثق بينهما . فالعلاقات التجارية مثلاً قد تؤدي الى انتقال اسماء السلع ، والنفوذ العلمي يسبب انتقال الاراء والمعلومات ، والسيطرة السياسية تقضي الى انتشار الكلمات المستعملة في الانظمة الحكومية . ونحن اذا نظرنا الى المصطلحات المستعملة في لغتنا العامة — وجدنا الاثار التي تركتها التركية في لبنان ولاسيما في لغة الدواوين الرسمية من ابرز الامثلة واقربها الينا قدمنا ذلك لان معظم النعوت والالقاب المستعملة بيننا هي من بقايا ذلك العهد . فان كلمات (افندي . وبك . وباشا . وهانم) تركية الاصل . وكذلك الالقاب الرسمية التي نستعملها عند ذكر اصحاب الرتب مثل صاحب العزة وصاحب السعادة ايضاً . فهذه تمت بقرابة الى العهد التركي بالرغم من مظهرها العربي فقد اقتبس الاتراك من العربية كلمات (عزة . رفعة . عظمة . عناية . سيادة . سماحة . فضيلة . فخامة . دولة . عطوفة . سعادة) واضافوا الى اخر كل واحدة منها حرف (لو) الذي هو في قواعد التركية اداة المصاحبة فقالوا: عزتلو . سعادتلو . دولتلو . فخامتلو ثم استبدلت منها اداة المصاحبة التركية بتعبير (صاحب) العربية فتحولت بذلك هذه الالقاب الى المعنى الاصطلاحي الذي نعرفه الان . واما اسماء الرتب العسكرية فقد بقي معظمها تركياً بحتاً مثل (شاويش) وباشاويش فان اللفظة الثانية تعني رئيس الشاويشية وهي مركبة من كلمة (باش) اي الاول وتأتي ايضاً (باش كاتب) و (حاخامباشي) وسلسلة غير قصيرة من التعبيرات التي تحتوي على اداة (جي) التركية بوسطه جى . قهوجي . عرجي . مكوجي . احزاجي وغيرها . وتسربت الى لغة لبنان العامة الفاظ فارسية في كل مرفق من مرافق الحياة منها . الخيار . الوزير . السراي . الشنكل . النيشان . البنفسج . الكوز . البرنامج . الفهرس (فهرست) الجرة . الجوهر . الابريق . الطست . الجوز . الطبق . الناركيله . القصعه . الفيروز . جهنم . الياقوت . التربيج . الكعك . البلور . الزنجيل . النرجس . النسرين . السوسن . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل . زنديق . البستان . التنور . التنوره . السكر . الميزان . اللوز . الباشق . الجاموس . المغنطيس . المرستان . الدولاب . الصك . الفرسخ . الزمرد . الزئبق . الشروال (كرديه فارسيتها سروال من (سر) فوق و (بال) قامة الرجل والبنديره (فارسية معربة من بند وهو العلم الكبير) وكذلك الطربوش من سر اعلى الرأس واعلى كل شيء . وبوش غطاء) . وتذكر العامة واكثر الخاصة اعداد لعبة النرد بالفارسية ويقولون (يك . دوسي . جهار . شاش بيش) واخيراً (خانه) وهي كثيرة الدوران في الكلام مثل اجزخانه . بطركخانه . والى غير ذلك من الاسماء . على ان اكثر المصطلحات الاعجمية شيوعاً في لبنان هي من بقايا ما تركته اللغة السريانية الارامية فمن قولنا في احاديثنا العامة (فلان وجهه مبجبج) اي ظهر فيه ورم والبجبجة في السريانية النفاخة . وتقول (شوهالشلهوبة) عن الرياح اللافحة والشلهوبة اللهبة والحرارة . وتقول عند تصعب الامور (شو هالشربوكة) ومعناها المغالطة بالحساب وتأتي ايضاً بمعنى نصب في سبيله العراقيل . وعن ضعيف العقل والرأي (عقله مفتول) والفتال الاعوجاج . وعند ما يصاب احدنا بداهية يقول (شوهالباشه) والباشه الاذى والبلية فكأنه يقول ما هذه المصيبة .. و (تعا نتكتك سوا) وتكتك اذا تكلم المرء كثيراً على الهدوء او ثرثر وهذر و (يخرب كوشتك) والكوشه الكدسة من الحنطة وغيرها اي خرب الله جاعتك ومريديك . و (جهجه الضوء) بمعنى لاح انبلج الصبح واضحاً . ويسمون الحر (شوب) وبطيء الفهم (عبيط) والبرد الشديد (دنيق) وقد دنق الرجل ارتعش من البرد و (ركش الارض) اي فلحها والمركوش من هذه المادة الفأس التي يشق بها الارض و (نجش الارض) حفرها و (شاحت عيني عليه) ذابت ومعنى الكلام انه بسبب طول وطموح البصر او امتداد القلب اليه . كادت عيني تذوب . و (برا وجوا) فالاولى معناها بالسريانية خارجا والثانية داخلا . و (الزركة) ضد الوسعة والفسحه (ونقشه كف لقحه على الارض) ونقش بمعنى قرع وضرب و (لقحه على الارض) القاه عليها وتلقح اي استلقى على قفاه ومنها (اللقحة) وهي المستوى من الارض و (لحش له لحشة) اسر اليه بعض الكلام . و (فشكل) الامتعة جعلها بدون ترتيب . و (الدم يفلفلك) وفلفل لوث ومرغ وضرج فكأنهم يقولون قتلك الله وضرجك بدمك . و (تنيح) مات واستراح . ومنها اتخذت (النياحة) بمعنى الراحة . و (القلعوط) من الرجال الرذل ، الساقط النفس والهمة . وفي الاصل الشديد البخل . و (تلقص) ابطأ و (نتش) خطف . و (عم يهدس فيه) وهدس فكر في الامر و (عيونه معمصه) اذا اصابها العمص والعمص مرض تتقرح منه

الاجفـان . و (حمل اغراضك ولبش) ولبش البغل او الدابة بالسريانية البسها عدتها استعداداً للسفر واتخذت من البلش وهي ما يحمل على ظهر الدابة من الاكياس ونحوها . و (جرجره) سحبه . و (حركش) بين القوم اذا عمل ما يهيج الشر بينهم وربما يقال حركش النار اي حركها لتستعر . وتقول (فرم اللحم والتبغ) بمعنى هبر وقطع . و (طلس) دهن ووسخ و (نوى البسين) وهو المواء . و (نوص القنديل) خف ضوءه و (معس) هرس . و (عرم التراب) كومه وكبّسه . و (غف على الطعام) اقبل عليه بلهفة او اكله كله . ويسمون الوكن (قن الدجاج) وكل حافة (شرار) والحداد (القرداحي) ويقولون (دلف السقف) اي رشح وقطر و (فاش على وجه الماء) طفا وعام و (طرطش) لوث ولطخ . و (طرش البيت) بمعنى كاس ورش ونضح و (زغل الحنطـة) غشها والزغل الغش في البيع والاشياء . و (رص الزيتون) رضه و (فراطة) صغار الدراهم اصلها بالسريانية (فرفوطه) اى فتات الخبز . و (حبشه) ادركه بعد جهد . و (بكير) قبل اوانه و (تغندر الشاب) اذا بطر وتغطرس ومشى مرحا ومنه الغندور والغندورة ويسمون المشتري (زبون) والعتبة (برطاش) ويقولون (انا بفرجيك » وفرج فلان فلانا على الشي اراه اياه . وبالسريانية الهاه به وتلهى بالشيء و (شو هالعدان) والعدان الوقت والزمان واحوال الجو وما يطرأ عليه من التغيير ومنه قولهم (اليوم العدان مليح) اي الطقس جيد و (شمط) اقتلع النصب من مكانه و (شحطه) طرده و (ترفر) اكل اللحم في الصوم و (سكر الباب) اقفله واغلقه و (الاشبين) كافل الطفل في العماد وشاهد الزواج ويقولون (ما ابدقه) والبدق بالسريانية الفطنة وتأتي ايضاً بمعنى الدهاء والمكر و (شو حوكه) من حوك اذا تبينه بنظره فادرك ماهيته مع الجهد و (شحل الكروم) اذا اقتضب من اغصانه من سحـل الحديد وبرده و (بلعط) اكثر من الحركة و (برعط) تحرك ومنه غلى ما يرى سميت (بلعط) الحيوانات التي تتولد في المياه الاسنة وفي المستنقعات و (بعق له بطنه) بعجه وركله فرماه على الارض . و (ياشحاري) تستعمل بمعنى ياويلي وشحـار او شحتار ما يعـلق بالقدور والمداخن والسقوف من سواد الدخان واشتقوا (المشحرة) من ذلك . و (حربوقه) من حربق اي عقد الخيوط والامور . و (باخ) الثوب اذا ذهب لونه و (الرشته) طبخة معروفة تؤلف من عدس وفطير مفتول يقطع قطعاً صغيرة ثم يطبخ ويؤدم و (زاغ) الطفل اذا ابدى حركات واصواتا جوابا على مناغاة والدته وفي السريانية صرخ وهتف و (تشركل) اشكل الامر والبس و (سفط) الاحجار اقامها صفاً واحداً ومنها قولهم « كلام مسفط » اي موزون . وقد وصلت الينا من قديم الدهر بقية قليلة من ألفاظ اليونانية والرومية منها : اللوبيـا . الترمس . البطريق . الزبرجد . المزيكى « الموسيقى » Mosica الزمرد . الياقوت . الاوقية . البلغم . والاقنوم وغيرها .

ومن بقايا المصرية القديمة (امبو) تقولها الام اطفلها الرضيـع اذا عطش و (امبو) كلمة قبطية اخذت عن المصرية القديمة بمعنى اشرب . واذا شعر الولد بألم اشار الى مكان الوجع وقال (واوا) وهي هيروغليفية ومعناها ألم وجع او ورم . واذا ارادت الام ان تنهر طفلها عن فعل شي. كريه تقول له (كخه) او (كخ) وكلمة كخ معناها قذارة . واذا شاءت تخويفه قالت له (بعبع) وهي محرّفة من الكلمة القبطية (بوبو) وهو اسم عفريت مصري استعمل في العزائم السحرية واتخذوه لتخويف الاطفال وصوّروه بهيئة قبيحة وكذلك تقول العامة (مثل زخ المطر) وزخ محرّفة من رخ ومعناها نزل او سقط ويقال (سخّم وجهه) بمعنى نجس او غطى بالوحل . و (جبنه حلوم) وحالوم الجبنـه وهي كلمة قبطية وترجمت الكلمة باللغة العربية ويقولون (ياما) في معـنى التكثير وهي كلمة مصرية مشتقة من (اما) ومعناها كثير . ومثل (العنتير) واصلها انتوري اي غليظ الجسم القوي الشديد . (وتعبي كله طلع بوش) وبوش من بوّش اي عرى وسلب ونهب واستعملت منذ العصور القديمة مجازاً بمعـنى فارغ خالٍ عـديم . و (كاني ماني) لفظتان قبطيتان قلّ ان تفترقا واصل معناهما سمن وعسل ويضيف ناس من عوام المصريين على الكاني ماني دكان (الزبلاني) فكلمة زبلاني اضافة تفسير معنى للكاني ماني اذ يوجد في مثل هذا الدكان السمن والعسل وما شاكلها من الفطائر التي في صناعتها السمن والعسل و (كايش على الدنيا) تقال للشحيح اذا كان مع بخله حريصاً واخيراً زعموا ان كلمة (ماري) مأخوذة من اللغة المصرية القديمة (مريت) اى المحبوبة والله اعلم .

هذا ما اهتديت اليه من الالفاظ الدخيلة المنحدرة الينا من الامم البائدة والتي ما زالت متغلغلة في يومنا بين جماهير العامة بالرغم من الاحقاب الطويلة التي اتت عليها ولعل في هذا القدر الذي تيسر لي عرضه ما يهيب بالباحثين ان يتصدوا الى احصاء ما فاتني منهـا ويردوها الى اصلها الغريب في مؤلف خاص لا يخلو من قيمة تاريخية وبذلك خدمة للعلم والادب ومجلبة للذة والحبور .

شفيق طاره

استغراق

•

ألقيهِ مخموراً على صدري   وانسي الزمانْ
فكلّ ما اذكر من عمري   هـذي الثوانْ

الطيرْ يبني عشّه النـديانْ   في الغار، في الشربين، في الريحان
والحب يبني عشّه فينا
وغابنـا مـا انبت الوزّال   الاّ ليخفينـا
عن أعين العذّالْ

لا حسّ في الدنيـا لانسانِ   فالناس كالأرواح قدْ راحوا
ولم يزلْ الاّ خيـالان   حيّين ، والبـاقون اشباحُ
ألقيه مخموراً على صـدري   فكلّنـا الاّ الهوى فـانِ
وكلّ ما اذكر من عمري   هـذي الثواني

الياس ابو شبكه

انائيس فرغويل في « البنات الرخام »

◆

استهلت انائيس فرغويل حياتها المسرحية بالغناء كوالدها المغني الشهير فرغويل (Fargueil) ثم انصرفت الى التمثيل ففشلت في بادىء الامر وكادت تقنط لو لا الصدفة التي تبدل مصائر الناس. في العام ١٨٥٢ عهدت اليها لجنة التمثيل في مسرح « الفودفيل » باخراج دور مرغريت غوتيه في « ذات الكاميليا » على ان تشبثها في بعض المواقف احرج المؤلف « اسكندر دياس الصغير » . وفيما الخلاف قائم بين المؤلف والممثلة مرضت هذه الاخيرة واضطرت الى التخلي عن دورها للسيدة دوش(١) .

وكانت فرغويل على وشك الانصراف عن المسرح حين اختيرت لاخراج دور ماركو في مسرحية « البنات الرخام » التي احرزت من النجاح ما احرزته « ذات الكاميليا » . ويقول الكاتب المسرحي جول تروفيه ان انائيس فرغويل خلقت من العام ١٨٥٣ الى ١٨٨٠ ثمانية وثلاثين دوراً يدرج معظمها في عداد احسن الادوار التي عرفها آخر القرن التاسع عشر .

اما « البنات الرخام » (Filles de Marbre) فقد استوحاها واضعاها تيودور باريير Théodore Barrière ولامبير تيبو Lambert Thiboust من « اعترافات فتى العصر » La Confession d'un Enfant du Siècle لالفرد ده موسه . ويؤثر عن هذين الكاتبين انهما كانا يحبان امرأة واحدة على شاكلة اوكتاف وديجنه في « اعترافات فتى العصر » . واشتدت بينهما المزاحمة الى درجة لم يجدا معها بداً من البراز . ولكن قبيل التحام السيفين اتصل بالمتبارزين ان عاشقاً ثالثاً حل محلهما في قلب المرأة ، فضحكا من موقفهما ومضيا معاً الى فندق يتناولان طعام الظهر . وفيما هما يأكلان اخذا يستعيدان الى الذاكرة مواقف اوكتاف وماركو وديجنه في قصة شاعر « رولا » وما عتم الامران كتبا فصولها الخمسة بدون ان يستأذنا الشاعر . ويقول بول ده موسه ، شقيق الفرد ، ان هذا الاخير حضر تمثيل المسرحية بنفسه ولكنه اكتفى بهز كتفيه ولم يعترض .

وصفوة القول ان الشهرة التي نالتها مسرحية « البنات الرخام » كانت من الذيوع بحيث عمد بعض النقاد الى لوم الكوميدي فرانسيز على تركها مثل هذه « الرائعة » تعطى على مسرح من الدرجة الثانية كالفودفيل . سوى ان الكوميدي فرانسيز كانت مصيبة في صرف النظر عن « البنات الرخام » لان هذه الاخيرة كانت ضعيفة من الوجهة الادبية او من الوجهة الانشائية على الاصح . واليكم موضوع هذه المسرحية :

« فرغويل »

يجري مدخل « بنات الرخام » في محترف فيدياس باثينا في زمن بركليس . ويرى في المحترف تماثيل اسبازيا ولائيس وفرينه التي اوحى عليها المثري العظيم جرجياس ، ويرى كذلك الفيلسوف ديوجينوس يعظ وهو يسرح « مصباحه » باحثاً عن « الرجل » الذي يجرؤ على قول الحقيقة للجنس البشري حاضراً ومستقبلاً . ويرى النحات فيدياس ، صاحب المحترف ، وهو شديد التمسك

(١) مراجعة شارل فيشتر في « ذات الكاميليا » في الجزء السابع من « الاديب »

بتماثيله يأبى بيعها ليقينه ان عبقريته ستبث فيها الحياة يوماً ، وقد غرب عن باله انها ليست سوى بنات من رخام لا تستطيع ان تحب ولا يصلح الا بيعها .

وينقلنا الفصل الثاني الى غابة بولونيا في العام ١٨٥٣ فنرى جميع الاثينيين المتحولين الى باريسيين يشربون ويتعاشقون ويغنون . والواقع ان فيدياس تحول فيما بعد الى رفائيل ديديه ، وديوجينوس الى ديجنه ، وجورجياس الى ده فرين ، والسبيادس الى جوليان ، واسبازيا الى ماركو ، وتيا الى ماري ، ولائيس الى جوزيتا ، وفرينه الى جوليت وهلم جرا . وفي غابة بولونيا يجتمع رفائيل ديديه ، المثال الشاب ، بصديقه الصحفي ديجنه الذي يقدمه الى رفاقه ، وسرعان ما يقع اسير ماركو ، ذات الجمال الساحر . وفي هذه الآونة تهب عاصفة هوجاء ، تعقبها امطار شديدة . وتظهر على باب الفندق فتاة في السادسة عشرة من عمرها مبللة الثياب بالمطر ، وقد جاءت كالهة « الطهر » تطلب ملجأ .

وفي الفصل الثالث نرى رفائيل في محترفه بين امه التي يحبها وماري الطاهرة النقية ، وهي الفتاة التي هربت من المطر وقد ادخلت وصيفة لوالدة رفائيل ، الشاب المستقيم ، الذي لا يلبث ان يقع في غرام ماركو .. المرأة الشيطان ، فتفهمه هذه الاخيرة انها تفضل ذهب ده فرين على « ازهار الحقول .. » التي يقدمها لها . وهكذا لا يلبث رفائيل المسكين ان يرى نفسه بين هزء العشيقة التي تؤثر الازهار « الضاحكة الرنانة » على الازهار « الفواحة » ، وعظات صديقه ديجنه الكثير الكلام والنصائح .

رفائيل — اني احب هذه المرأة يا ديجنه .. وسأظل احبها مهما فعلت هي ومهما قلت انت .

ديجنه — ولكن ماذا ترجو من حب هذه اللبوة ؟ ألديك ثروة ده فرين انت ؟

رفائيل — ديجنه ... ديجنه ...

ديجنه — لم ابق ديجنه كما كنت بل صرت العقل .. فهؤلاء النساء شياطين لمن كان مثلك .. ولهن قرون لا ترى ولا تنظر ..

وتلك الاظافير الصغيرة الوردية ليست في الواقع سوى مخالب تغرز في قلبك ...

رفائيل — ديجنه !..

ديجنه — تعال نتكلم بوحي العقل لا بوحي الهوى . كم انفقت من المال منذ معرفتك بماركو ؟

رفائيل — عشرة الاف فرنك .

ديجنه — المبلغ الذي كان لديك . ومنذ ذلك الحين لم تشتغل ، ولقد مضى عليك ستة اسابيع لم تعانق خلالها امك ، امك المسكينة التي تنتظرك واذا رأتك تكاد لا تعرفك . فقد تبدلت كثيراً يا رفائيل كأنك شخت .

رفائيل — أتعرف لماذا ؟ لأن ماركو اصبحت لا تحبني . ومنذ شهر وانا فاقد الراحة لا يغمض لي جفن . الحمى تلهب دماغي وتمزق قلبي .


الممثل فيشتر

ويرينا الفصل الخامس رفائيل ديديه في محترفه الى جانب امه وماري الوصيفة ، وقد بدت عليه دلائل التعب والجهد . على ان الحمى لم تفارقه منذ ما اخذ يحاول نسيان ماركو . وفي نهاية الامر يقع ميتاً بين يدي صديقه ديجنه . ومما لاشك فيه ان الفوز الذي ادركته الممثلة انائيس فرغويل يعود الفضل فيه الى السيماء المضطربة التي عرفت ان تخلقها على وجه ماركو . فقد كان في نظراتها سحر افعواني يجذب ويدفع في وقت واحد . وعلى فمها ابتسامة تتحدى الاحتقار والمسبة . وكان زيها شيطانياً مغوياً ، لا سيما السوط الذي كانت تضرب به القطع الذهبية في الكيس المتدلي على خصرها وهي تنشد « اغنية الذهب » . اما الفصل الرابع الذي لم نأت على ذكره فيستنشق موت القلب في ماركو الساحرة التي كثيراً ما ضارعت الممثلة العظيمة راشيل في اروع ادوارها الفاجعة . وقد قال احد النقاد المسرحيين : « لقد اجادت فرغويل في تشخيصها سكرة الشبق . فهي رائعة ، مخيفة ، هائلة . » اما فيشتر الذي كاد يحتكر النفوس الممزقة فكان في هذه المسرحية التي مثل فيها دوري فيدياس ورفائيل احسن منه في مسرحية « ذات الكاميليا » التي مثل فيها دور ارمان ديفال .

لا تصافح احدا

لأمين الغريب

•

ان هذا العنوان قاس تكتبه اليد اليمنى فتشعر بوخزة من اليسرى القريبة من القلب . كانها تقول باية عين جافة يقبض المهذب يده عن اليد الكريمة الممدودة اليه بلطف وبشاشة . ولا شك ان هذه الملحوظة التي تمليها تقاليد مأثورة وعادات قديمة تستحق القدر والاعتبار . فلا نهملها ولا ندعها بل نضعها جانباً ريثما نعالج الموضوح من ناحية اخرى .

سنة ١٩٢٦ امتنع رئيس الولايات المتحدة لاول مرة في تاريخها عن مصافحة زائريه يوم عيد الفصح . فلم يدهشوا لان الجرائد ، وهي هناك مرآة الحياة الصافية الامينة ، هيأت الافكار ، لاجتناب ما في هذه العادة من الاضرار .

فالمصافحة في اميركا خلة مأثورة عن رؤسائها خصوصاً ، وعن كبار رجالها جملة في الاعياد العامة . فاذا خطب خطيب بلسان في حشد عظيم اصر هذا الحشد على مصافحته . واذا زار البيت الابيض الوف من الناس كان حقاً لكل منهم ان يصافح الرئيس . في ليلة الميلاد تبقى جماهير من الخلق ساعات تحت الثلج المنهمر انتظاراً لفتح الباب صباحاً وظهور رئيس الجمهورية لكي يحيوه ويصافحوه دون ان يعرفهم او يعرفوه . ولكن ليس الرئيس هناك الا اداة من ادوات حزبه الساعي لتعزيز مبادىء معينة في حكم البلاد . وعلى كل اداة ان تتوسع في الوسائل الآيلة الى تكثير اتباع هذا الحزب . وقد رأوا ان المصافحة من خير تلك الوسائل .

والرئيس يلبي رغبة الفريقين بطيبة خاطر ، تأميناً لاغراض حزبه ودلالة على ميوله الشعبية ، واستهتاره بمظاهر السلطة . فينتحي ناحية الباب ويبسط يديه الاثنتين للمارين ليضغط كل منهم الواحدة منهما ، ويعود الى بيته مبتهج القلب ، منشرح الخاطر بالاهمية التي ظن انه اكتسبها من مصافحة الرئيس . هكذا يشعر من كان صغيراً ممتلئاً حماقة وغروراً .

على ان هذه العادة المألوفة في لبنان ايضاً مع كل تحية ، والتي انكرها الاتراك ما بينهم ورفضوها ، قانعين من التحية برفع اليد الى الجبين ، قد كلفت الاميركيين غالياً ريثما انتبهوا اخيراً الى اضرارها ، وقامت جرائدهم تحتج عليها ، وباشر احد رؤسائهم في تلك السنة الاستغناء عنها .

لكن مباشرة كلفن كوليدج لم تغن فتيلا على ما يظهر . فقد عاد خالفه الشديد الحياء هربرت هوفر اليها ، وثابر عليها ، حتى هرست يداه ودميت اصابعه مراراً بفضل المعجبين به . واخيراً رفعت السيدة اليانور روزفلت عقيلة الرئيس الحالي ، صوتها في نيسان ١٩٣٨ احتجاجاً على متابعة تلك العادة (الذميمة) . هذه المرأة التي تحمل اليوم لقب « اول سيدة في البلاد » ممتازة بجد ذاتها وليست كالنساء ولا اللواتي ... على ما يقول المتنبي ، بل لها خبرة واسعة في الموضوع ، اذ تصافح من اعضاء جمعيات النساء واولاد المدارس اكثر كثيراً من زوجها الذي تضطره صحته غالباً الى احالة المصافحين عليها . وقد دعتها الحاجة ، وهي ام الاختراع ، الى ابتكار اسلوب خاص في المصافحة . فهي تسبق المصافح باخذ انامله بيدها وجذبه بلطف الى جانب قبل ان يتمكن هو من القيام باقل ضغط . وهكذا تتخلص من شدة احترامه على اهون سبيل . ولها شهرة في عالم الادب فهي تكتب في الصحف وتخطب على المنابر . وتكسب من المال بذلك مثل مكسب زوجها من منصب الرئاسة ، ولكنها تحول كل ايرادها الى الاعمال الخيرية . وبناء على ذلك « اذا قالت حزام فصدقوها » .

اما لماذا تعد المصافحة (ذميمة) وما هي الاضرار التي سببتها للاميركيين ، فان الرئيس هنري هاريسون كان شيخاً هرماً لما تولى (سنة ١٨٤١) اعلى منصب في تلك الجمهورية . ولم يشفق عليه الوف مصافحيه . فانهكه ضغطهم ليديه كلتيهما في حفلة نصبه الراقصة . فمرض من جراء ذلك ومات شهيداً لحماسة محبيه الثقلاء .

ولما انتخب وليم مكنلي للرئاسة سنة ١٨٩٦ كان احد المعجبين به يهرس له يمناه من شدة الضغط عند مصافحته حتى اضطر الى تعليقها بعنقه بضعة ايام . وقد كان ذلك نذير شؤم لمكنلي ، رحمه

الله : ففي سنة ١٩٠١ (وقد كنت في نيويورك وقتئذ) زار الرئيس معرض بفلو في ولاية نيويورك ، واخذ الالوف يصافحونه فاندس ما بينهم رجل بولندي الاصل فوضوي النزعة يدعى شولكوش وقد علق يسراه بمنديل في عنقه كأنها معتلة . ولما اقترب من الرئيس الباسم صافحه باليمنى واطلق عليه من اليسرى المستترة رصاصة من مسدس خفي ، فقتله . ولا ازال اذكر من بين برقيات التعزية الواردة على ارملته واحدة ارسلتها ارملة همبرت ملك ايطاليا الذي كان احد الفوضويين قد قتله قبل ذلك بقليل . قالت : « نحن اختان في الاسى . »ولا ازال اذكر مرة خطب فيها في لوزفيل كنتكي المرحوم وليم جنتز برايان الملقب بذي اللسان الفضي والذي رشحه الحزب الديمقراطي مرتين لرئاسة الجمهورية فكانت الدنيا تصفق له ولا اكثرية يوم الانتخاب تعرض عنه . وقد كان لي يومئذ حظ استماعه في لوزفيل وشرف مصافحته مع الجماهير البالغة خمسة عشر الفاً . فكان بعضهم يشدون على يديه المبسوطتين ما شاءت ثقالتهم وهو يتصنع البشاشة تاركاً امره لله . وكانت النتيجة ان المسكين قضى عشرة ايام في بيته يعالج تينك اليدين الحزينتين بالادوية والمراهم .

مع ان عادة المصافحة بقية من عهد قديم اذ كان الرجل يبسط يمناه للتحية ، دالا بذلك على خلوها من السلاح . فاذا اخذها بيده اطمأن واستراح .

على ان العلم الحديث افسد هذا الرأي ، وقوى حجة الناقمين في الولايات المتحدة وغيرها على المصافحة . فعلاوة على استخدام الاشرار لوسيلة الاطمئنان عينها وسيلة للغدر والايقاع صرنا اليوم نعرف ان في كل يد بشرية عدداً لا يحصى من الادوات للفتك افعل واثقل من تلك التي اخفاها شولكوش تحت منديله في يسراه . اذ ما من يد تركت وقتاً يسيراً بدون غسل الا آوت ملايين من الجراثيم والمكروبات المكتسبة من ملامسة اليد لاشياء ممتلئة منها .

انت تدري ، اذا كنت متمدناً ، اية معركة حربية يقيمها الصابون اذ تغسل يديك دائماً قبل الاكل . ولهذا يطهر طبيب الاسنان الماهر يديه قبل زج اصابعه في فمك . ولهذا ايضاً لا يكتفي الجراح بتطهير يديه قبل اجراء العملية ، بل يحافظ عليهما وعليك بلبس قفاز من المطاط المطهر . هذه ادلة ثابتة بالامتحان على ما تحمل اليد المجردة من ادوات الهلاك . ومن يطهر يده بالغسيل يعيد اليها الجراثيم حالما يصافح يداً غير مغسولة . والاطباء يؤكدون ان المصافحة تنشر من الامراض بين الناس ما تنشره دور السينما بواسطة السعال في ايام الشتاء .

في الولايات المتحدة تألفت جمعيات بعناية نظارات الصحة في كل ولاية لابطال عادة المصافحة المضرة ، فلا تنتظر انت في هذه الديار تأليف الجمعيات لهذا الغرض ، بل كلما رأيت يداً ممدودة لك فاحتل على قبض يدك عنها وانج بنفسك منها .

امين الغريب

من الادارة

١ ــ ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل. عوضاً عن ٤٠

٢ ــ يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدوءها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول والثاني عن السنة الحالية لنفاد نسخهما .

٣ ــ الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

(٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة ــ و٦٠ قرشاً لباقي الجهات ــ وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ ــ يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ ــ كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر

٦ ــ تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد ٨٧٨ بيروت ــ لبنان

اغنية حزينة

لأحمد راسم

« أعرف ابنة صغيرة ذات عينين كبيرتين سوداوين ويدين مغريتين ، صغيرتين ناعمتين .

« اتى غلام صغير يحب الابنة الصغيرة ،ذو عينين كبيرتين سوداوين ويدين مغريتين صغيرتين ناعمتين .

« وفي احد الايام اتى عجوز صغير من عائلة نبيلة ولكن طاهرة ، فعكّر سعادة الغلام الصغير الذي يحب الابنة الصغيرة ، الغلام ذي العينين الكبيرتين السوداوين واليدين المغريتين ، الصغيرتين الناعمتين .

« وحلم الولد ليلة ان ملاكاً جميلاً ، عجيباً طاهراً ، جاء يحمل روح العجوز الذي عكر سعادة الغلام الصغير الذي يحب الابنة الصغيرة ذات العينين الكبيرتين السوداوين واليدين المغريتين الصغيرتين الناعمتين .

« وخيّل الى الصغير المسكين ان العجوز الطاهر قد مات ، وانه سيكون له بعد اليوم السعادة التي يستحقها ، سيكون له الابنة الصغيرة ذات العينين الكبيرتين السوداوين ، و« الربوتين » الصغيرتين واليدين المغريتين ، الصغيرتين الناعمتين .

« ولكن الحلم لم يكن الا حلماً . فبكى الصغير وظل يبكي حالماً بالمعبودة ذات العجوز الصغير واليدين المغريتين ، الصغيرتين الناعمتين ..

حتى مات من البكاء .. »

لما انشدت هذه الاغنية لـ« نيسان » قالت : « انا لا احب العجائز الصغار ، واؤثر خبزاً وملحاً وانت في فندق ذي اطعمة شهية مع آخر . »

ووضعت « نيسان » قبلة على عيني .

ثم اردفت قائلة :

« ولا احب تلك القصور الكبيرة الفخمة . »

وما قالته « نيسان » كان حقاً !.

ولكن ان تكن « نيسان » اكتفت يوماً بان تقيم بقصر كبير فليس الذنب عليها . ففي ذلك الزمن الذي ارتفعت فيه اسعار المعيشة ، كنا عاجزين عن الاهتداء الى خبز وملح وفندق ..

فالحلم لم يكن الا حلماً بله المصير .

ولئن يشق احمد احياناً حالماً بـ« نيسان » فلأن احمد ما يزال يحمل في حلقة مفاتيحه خاتماً محفوراً عليه تاريخ عزيز : فعلى مكتبه ساعة تشير الى الوقت !.

اما انت الذي يجهل حقيقة قصتها ففيم تبكي حين تعيد قراءة هذه الاغنية ؟

احمد راسم — السويس

قصصي وقصة

لسهيل ادريس

لعلَّ من صفاتي — ان اعجبت بشيء — ان اعجب به الى حد بعيد ، وان اغلو احياناً واسرف في الاعجاب ،فأطري وازكي اطراء وتزكية قد يفوقان الحد الحقيقي بهما، واللازم لهما على انني اروم ان ابتعد وانسلخ من هذه الصفة ، وأرجو ان اوفق في تقديمي — لقراء « الاديب » الغراء — كاتباً قصصياً ، وقصة فريدة لهذا الكاتب .

اما القصصي فهو« ألن فورنيه Alain Fournier »،واماقصته « مولن الكبير Le Grand Meaulnes » وكان خليقاً بي ان اجعل للكاتب مقالا ، ولقصته مقالا آخر ، لولا ان الكاتب وقصته شيئان متلازمان ، يتمم اولهما الآخر ، وللأول بالآخر ، صلة الحياة بالحي ، ورابطة الروح بالجسد ..

وسيرى القراء ان لحياة ألن فورنيه ، بقصته « مولن الكبير» صلة وثيقة محكمة . واود ان اذكر قبل ذلك ان هذا الكاتب ليس مشهوراً لدى القراء الشرقيين شهرة غيره من قصصي الادب الفرنسي الحديث ، مع انه لا ينقصه اية اثارة من الفن القصصي ، ولا يفوقه زملاؤه بشيء ، بل هو قد يفوقهم باشياء .

وُلد « ألن فورنيه »عام ١٨٨٦ في « Chapelle d'Angillon »

ولقد نشأ مفعماً بروح الاستقلال والحرية الذي يتجلى في قصته « مولن الكبير » . وليس من شيء يصور هذا الروح تصويراً احسن من تسجيل الحادث الكبير الذي كان سبباً في ظهور قصة مولن ، والذي يدل دلالة واضحة على صدق ادب الكاتب . وقد بلغ هذا الحادث من الرقة والعذوبة بحيث يصعب تلمسه بالكلمات !! .

« في يوم هادىء من ايام نوّار ، التقى ألن فورنيه بفتاة رائعة الجمال فارهة الحسن ، في« Cour La Reine » فاقتص اثرها . وتوجهت الفتاة اليه بكلمات تنم عن انها لم تحتقره ولم تزدره ... على ان ألن ما لبث ان بلّغ انها تزوجت ، وانه لا يخطر لها على بال ... فشغله يأس بالغ غايته . »

هي ذي المأساة الصغيرة ... العظيمة التي وعتها حياة فورنيه ، فتمخضت عن معان كثيرة حواها كتاب « مولن الكبير » . اما اثر هذه الحادثة في نفس الكاتب وفي حياته ، فيتجلى في اقواله (عام ١٩٠٨) : « لم تقع عيني على اجمل منها او آنق ... انها روح » ولكنها روح مرئية ، ممثلة بوجه ، حية بشية . انها على جمال ليس من الممكن التعبير عنه ! مائة جملة تعرض لي لهذه الغاية .. ولكن اية واحدة لا تمثل الحقيقة .. « اما التقاؤنا فكان مبهما .. كنا نتعلل بالقول « ان احدنا ليعرف الآخر . اكثر من علمه من هو » ! » .

« وهذا القول على حظ من الصحة كبير ... ذلك انه يمثل الواقع بجذافيره ، واما الحب الذي ترعرع بغرابة اية غرابة ، ونما باخلاص مامثله اخلاص ،فقد كان من الطهارة بحيث صعب علينا تحمله .. »

« واخيراً ، رغبت الي ذات يوم ، الا اصحبها الى ابعد مما نود .. فرضخت ، واتكأت الى عماد جسر انظر اليها ذاهبة .. ثم ... رأيتها تفتل لتنظر الي — للمرة الاولى منذ تعارفنا — ، فاذا انا اخطو بضع خطوات الى العماد التالي ، اكاد اذوب شوقاً ، والهاث حنيناً الى اللحاق بها ... ولكنها تابعت سيرها .. واخيراً ، قبل ان تختفي — والى الابد — انفتلت الي تلفتة اخرى ، ورنت الي ردحا ... هل كان ذلك بمثابة امر : الا اتقدم اكثر مما فعلت ، او كان ليتاح لي مرة اخيرة ، النظر اليها وجهاً لوجه ؟؟! .. ذلك ما بقي سراً ، استحال علي تفسيره »

وهكذا ... فقد كانت مغامرة الفؤاد هذه كافية لان تقلق حياة ألن فورنيه ، وتقض مضجعه ، وترمض نفسه ، وتترع حياته بالحمية والحرارة ، والاسى والاندهال . ولكن ما اثر ذلك كله ، وعم تمخض؟ ذلك ما يجيب عليه المؤلف حين كتب بعد سنتين من هذا التاريخ الى صديقه الودود « Rivière » :

« انا اعمل ، اعني انا اؤلف ... وقد يلم بي يأس لا حد له ، فيلجئني الى التراجع عن الحال ... وانا منهمك في القسم الخيالي من كتابي ، وفي القسم الانساني في آن واحد ... ولا شك في ان احدهما يعينني على الآخر ... على انني مع ذلك اضطررت الى التراجع عن القسم الاول . وان توفيقي في القسم الآخر الكبير . وسأفرغ عما قليل من «يوم العرس» (هو فصل في القصة) . وكتب بعد ذلك :

« اشتغل بحمية في كتابي . ولقد اندفعت مدة خمسة عشر يوماً ابني هذا الكتاب عوداً على بدء ، فلم افد من ذلك شيئاً ، وها انذا اهمله ... واخيراً ، ارشدت في امسية اضحوانية الى طريق احلامي ... فشرعت اكتب ببساطة وسهولة — كما احبر احدى رسالاتي — فصولا صغيرة مشبوبة ... هادئة ... انا هي قصتي . ومنذ ذلك سار كل شيء طوع الهوى »

ولكن ، ان « سار كل شيء طوع الهوى » فليس ذلك يخفف شيئاً من لوعة ألن ... بل لعله يزيده اسى فوق اسى .. ولقد ظل ذلك الشجو الذي قدر عليه ، يضطرم بين جوانحه فيحيل حياته عذاباً لائباً ، والماً مريراً . وهذا ما دعا ألن الى القول عام ١٩١٠ — اذ كان الكلام يكثر عن الحرب — « انا موقن انني لسن

اعود قط من الساحة » . وفي الواقع ، انطلق فورنيه مع صديقه ريفيار الى الساحة في ٤ آب ١٩١٤ . وبعد ايام قليلة ، بلغ احد اصدقائه انه قتل ، ولم يعثر على جثته .

تلك هي حياة ألن فورنيه : مغامرة صغيرة ، فعذاب موئس ، فموت في ساحة القتال .. ولكن الاثر الخالد الذي تركه ألن هو الرواية الفذة « مولن الكبير Le Grand Meaulnes » انها قصة الحياة السرمدية .. انها القصة التي تملأ الفؤاد هوى وحباً ، وتفيض على الروح لهفة وحنيناً ، وتريح على النفس وحياً من الروعة ، والهاماً من الجمال ، ووشياً من العذوبة .. سذاجة طاهرة تسير البطل مولن : وهذه من اظهر ميزات القصة . اتلُ منها فصلا اولا ، فستسري في كيانك نشوة يتلوها — ان ما استعدت في خاطرك هذا الفصل — اضطراب واسى يرينان على القلب ، ثم تحسّ منه اثر هذا كله لوعة الشباب المعذب تفيض في حنايا الفؤاد ، ولهفته الحائرة تشيع بين طيات الضلوع ، فاذا انت اسوان محزون لهذه الحداثة الفتية ، ولذلك الصبا الغضير ، يبرمها الالم ، ويعذبها الاسى ، ويؤنسها الاخفاق ..

واتلُ منها فصلاً آخر يستثني حواسك ، ويوقظ عواطفك ، ويهيج مشاعرك ، فاذا انت تأنس منه أمل الشباب الحلو الجذلان يملأ الحياة ، واماني القلب الرفافة تسبغ على الشباب فيضاً من الفرحة والجذل ، وتضفي عليه الواناً من السرور الضاحك ، فاذا انت مبتهج النفس ، طلق الفؤاد ، تستروح لهذا الشباب الغض سعادة ودعة وامنا ..

ان قصة « مولن الكبير » عميقة كل العمق ، متمعن فيها كل التمعن .. ذلك انها عمدت الى قلب الشباب فراحت تدرسه ، وتشرّح طواياه ، وتحسر عن سرائره ، وتعلل اسباب تقلباته . وليست الافكار هي التي تظهرنا على كل ذلك ، بل الحوادث وحدها . ولعل ذلك يكون اجلى واظهر لمعرفة الافكار الفلسفية ، واللفتات الرمزية ، التي يرمي المؤلف الى تسجيلها . اما « الرمزية » فقد احتلت مكاناً واسعاً من تفكير ألن فورنيه . ولقد لاحظ هو نفسه ان اثر الرمزية في مؤلفاته قد عقل الهامه النفسي ، اكثر مما اتاح له الظهور . ولعل ملاحظته هذه ، هي التي دعته الى القول « انه ينبغي القيام في وجه مدرسة (ويعني بها مدرسة الرمزية) تعرض تعاليمها للفنان « مصنعاً » من الطرائق التفكيرية المحضة ، الممعنة في التفكير : وقد قال في رسالة له (١٩١٠) .

« من هذا ، اي الرمزية ، وددت ان اصنف كتابي .. وكان ذلك جنوناً هوجنون .. الرمزية ! وهذا يحتل من كتابي مثلما يحتل من حياتي ... « انما هي عاطفة عارية في منعطف شارع » .

وسأعرض الآن بعض الآراء التي ارتآها النقاد عن « مولن الكبير » . فقد صرح « Gustave Lanson » « ان هذه اللعبة الخيالية » لم تؤثر في الا اثراً ضئيلاً . ذلك انها فاقت — من حيث الاستحالة ، وبعد التصديق — تلك « القصة الزرقاء » التي وقعت في برج من ابراج الاحلام ، وعلى هامش الزمن ، والتي ترغب في ان تدرج في الحياة الحقيقية الواقعة !! » .

بيد ان « Claude Aveline » قرظ بعد سبع سنين قصة « مولن » فقال وكأنه يرد على لانسون « ان كل شيء في هذه القصة حقيقي ، ولكن دون ان يظهر ... وايا ما كان ، فقد بلغت الغاية المقصودة : ادراج العجيبة في الحقيقة ! » فهمَّ تكشف هذه الاراء المتناقضة : اعن تضاد شعورين ، امعن تطور في الاذواق الادبية ؟

كلا ! وانما يبدو جلياً ان لانسون قد خدع عن نفسه ، وان الابداع الجوهري في القصة قد عزب عن ذهنه . ذلك انه توهم — اذ نعتها « بقصة زرقاء » — ان رواية من هذا النوع انما « تصنع اختيارياً » من مجموعة اهواء واشكال ! .. لقد ظن لانسون ان بحسب المرء ان يكتب كي يخرج مثل هذه القصة .. اما تأمل اعترافات الن فورنيه في احدى « رسائل الى « B » الصغير » بتاريخ ايلول ١٩٠٦ : حينما تتوفر لدي الصور ، اعني حينما احظى بالفراغ وبالقوة على عدم النظر الا الى هذه الصور — حيث ارى واشعر بالعالم الميت الحي ، المشوب بحيوية فؤادي — اذ ذاك اعبر عما لا يعبر عنه .. وسيكون ذلك قصيدتي في العالم .. سأحقق قصة تحييها حركة سرمدية لا شعورية بين الحلم والحقيقة » .

وقصة « مولن الكبير » كانت التعبير عما لا يعبر عنه ، والقصة تحييها حركة لا شعورية بين الحلم والحقيقة ... ان هي الا جملة احلام وتجارب ذلك الفتى القروي : ذكريات حية حتى في اصدائها السحرية . لقد اصبح ألن فورنيه — حين قص — بصير عواطفه واحساساته — الشاهد العجيب ، لا على جيل وحسب ، ولكن على الحداثة عموماً .. انه الكاتب الذي وفق في تصوير الشباب والصبا التصوير . ومهما اقل بصدد قصته فلن اعبر تعبيراً احسن من انني احس — كلما تلوتها — بأمسّ الحاجة الى تلاوتها مرة أخرى !! . لا ادري لم ذلك ؟ ! . فقد يكون الشباب الذي يعتلج فيها هو نفس الشباب الذي يعتلج في فؤادي .. وقد يكون املي في بلوغ الغاية التي اصبو اليها امل « مولن الكبير » ، وقد لا يكون هذا ولا ذاك وانما يكون شيئاً آخر .. سراً مكنوناً على الايام تحسر عن طويته !..

سهيل ادريس

الحركة الفكرية في بلجيكا

لا يمكننا ان نكوّن لانفسنا فكرة صحيحة عن حالة الادب في بلجيكا وعن تطور الافكار فيها من غير ان نعيد النظر بادىء الامر في ما تواضع عليه القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من الاراء والافكار . فبلجيكا لم تبق بلاداً موحدة اللغة كما كانت ، فهي فلمنكية في مقاطعات الشمال وذات ثقافة هولندية ، وفالونية في مقاطعات الجنوب وذات ثقافة فرنسية . ومنذ عشرة قرون لم يطرأ اي تبدل على الحدود اللغوية فيها . ففي القرن التاسع عشر كانت الصفوة المختارة من المفكرين ذات ثقافة فرنسية ، على انه حصلت في المقاطعات الشمالية حركة سياسية واجتماعية كبيرة اسفرت عن ارجاع الثقافة الفلمنكية الى سابق ازدهارها . ففي بلجيكا اليوم ثقافتان احداهما فرنسية والاخرى هولندية ، ويبلغ عدد المساهمين في كلتا الثقافتين اربعة ملايين ، اي نصف سكان بلجيكا . فالبلجيكيون اولو الثقافة الفرنسية يشخصون الى باريس ، واولو الثقافة الفلمنكية يشخصون الى هولندا .

الاداب الفرنسية

قلنا ان ميدان الاداب الفرنسية ينحصر ببلجيكا في مقاطعات الجنوب ، اي في فالونيا وبروكسل . وهذا يؤثر وسيؤثر دائماً في توجيه الادباء الذين يكتبون باللغة الفرنسية في هذه البلاد . فليس في هذه الاخيرة ادب وطني بالمعنى الذي تشتمل عليه هذه الكلمة . ولئن تكن الاقليمية ما تزال بارزة في كثير من تآليف الكتاب البلجيكيين فالجيل الجديد يزداد تحرراً من الروح الاقليمي ، وفي تآليفه ما يقطع الدليل على ذلك . ويمتاز الادباء البلجيكيون الذين يكتبون باللغة الفرنسية عن سائر الادباء الذين يكتبون بهذه اللغة بانهم يحسبون انفسهم ادباء فرنسيين ، وقد اكتسب بعضهم الجنسية الفرنسية واحتفظ بجنسيته ، ولكنهم جميعاً ينظرون الى فرنسا نظرتهم الى رمز لغتهم ورمز الثقافة التي هي ثقافة اجدادهم منذ قرون . وفي بلجيكا جيلان من الادباء . جيل قبل الحرب الذي يمثله كرنس Krains مؤلف « الخبز الاسود » وغليسنر Glesener الذي كتب « قلب كونستان ريي » والبر موكيل Albert MOckel ، وفاليرجيل Valère Gille ، وغوستاف فان زيب Gustave Van Zype وجورج مارلوف Georges Marlow ، وايزي كولين Izi Colin ، وغيرهم . وجيل بعد الحرب الذي يمثله فرانس هلنس Frans Hellens ، والبر سرستفنس Albert t'Serstevens ، وهوراس فان اوفيل Horace Van Offel ، واندره بايون André Baillon ، وغيرهم . وهناك طائفة اخرى من الادباء الذين تجاوزت شهرتهم حدود بلجيكا كالشاعرين نوئيل روه Noël Ruet ، وموريس كاريم Maurice Karèm ، والكاتبين المسرحيين ميشال ده غلدرود Michel de Gelderode وسومان Saumagne . ويجدر بنا ان نفرد مكانا خاصاً لشارل بليسنيه Charles Plisnier القصاص العظيم الذي اصدر قصة « الجوازات المزيفة » Faux Passeports بعد « قصة الزواج » Mariages التي اثارت مناقشات عنيفة حال صدورها . ولا نزاع في انه لم تحصل منذ الحرب الكبرى الماضية اية حركة تجديدية كبرى في الادب البلجيكي . سوى ان ادباء الجيل الجديد وبعضاً من اسلافهم اصدروا لسنوات خلت منشوراً اكدوا فيه انهم لا يريدون ان يكونوا سوى خدام امناء للادب الفرنسي بمعزل عن اي روح اقليمي . وهؤلاء الادباء هم في طليعة الشعراء والقصاصين والمؤلفين المسرحيين والنقاد من الجيل الحالي ، وقد وقعوا منشورهم باسم « كتلة الاثنين » .

كتلة الاثنين

جاء في هذا المنشور ما يلي : ثمة رأي ينسب الى مجموع المؤلفات الادبية الصادرة في بلجيكا طابع ادب وطني مستقلا . ويحاول اصحاب هذا الرأي القول بان الكتاب البلجيكيين الذين يكتبون باللغة الفرنسية يعملون على تأليف كتلة روحية مستقلة عن مجموع الكتاب الفرنسيين بحجة ان جامعة اللغة لا تقيم بين هؤلاء الا علائق صرف خارجية .

« وهذا غير صحيح . فجامعة اللغة لا تكتفي بان تخلق بين ادبنا الفرنسي وادب الفرنسيين صلة تشابه اهم بكثير من التباعد الناشىء عن الجغرافيا المادية والسياسية بل هي تخلق اكثر من ذلك ، فاحداث التاريخ وتجاور العلائق الروحية والطابع الكوني والجاذبي للثقافة الفرنسية اختصرت فوارق الشعور بين آداب بلجيكا وآداب فرنسا بحيث اصبحت بلجيكة مترلنك Mœterlinck وبايون Baillon

وفرهيرن Verhœren جزءاً من تلك الوحدة التي لا حدود لها وهي فرنسا الادبية .»

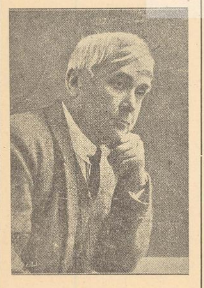
وهكذا نرى الادباء البلجيكيين المثقفين بالثقافة الفرنسية يزدادون شعوراً بانهم لن يرتفعوا الى القمة الا في ظل العبقرية الفرنسية . ومما لا شك فيه ان جول ديستري Juees Destrée ادرك هذه الحقيقة قبل ان ادركتها ، « كتلة الاثنين » من ادباء الشباب حين اسس اكاديمية اللغة والادب الفرنسيين في العام ١٩٢٠ . وهو لم يقرر ادخال عشرين اديباً اجنبياً في هذه المؤسسة المشتملة على اربعين عضواً الا ليوسع آفاق الادب البلجيكي ويجمع بين الذين يعملون لمجد الادب الفرنسي خارج حدود فرنسا وفي فرنسا نفسها . فالى جانب مترلنك يجلس العالم الهولندي سلفيرا ده غريف ، والكندي مونبتي ، والاسوجي فالبرغ ، والبرتغالي كاسترو ، والسويسراني فالوتون ، والشاعر فيليه غريفن والسيدة كوليت الفرنسية . ومعلوم ان هذه الاخيرة خلفت الشاعرة الكونتس آنا ده نوايل .

الادب الفالوني

ولا يجمل بنا السكوت على الادب الفالوني الشبيه بالادب البروفانسي الذي انجب جاسمان وميسترال وغيرهما من الخالدين . في فالونيا عدد من الجمعيات التمثيلية التي تقوم بنشاط كبير ، وللغة الفالونية شعراؤها وكتابها كما للغة البروفانسية . وتتمركز الاوساط الادبية الفالونية في تورني وشارلروي ونامور وفرفيه وفي ليبج على الخصوص . اما احسن الادباء الفالونيين فهم نيقولا ديفريشو Nicolas Defrêcheux وادوار ريموشان Edouard Remouchamps ، وهنري بارون Henri Baron ، وادولف تلكين Adolphe Tilkin والشاعر جوزيف فرنت Joseph Vrindt ، وجوزيف مينيوله Joseph Mignolet ، وبوفي ، مؤلف « نشيد الفالونيين » ووالد السيدة برت بوفي من « الكوميدي فرانسيز » . ويمتاز الادب الفالوني بطابعه الانتقادي المر في تصوير الحياة اليومية . على ان هذا الادب ما يبرح اصلياً لان الحياة الداخلية في فالونيا قوية وغنية .

الادب الفلمنكي

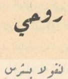
ترافق يقظة الادب في الفلاندر ، هذه اليقظة التي اتسمت في اواخر القرن التاسع عشر بازدهار تلك الحركة التحريرية التي قام بها شعب اهتدى الى تقاليده وثقافته ، اسم اديب عظيم هو هنري كونسيانس Henri Conscience . فنفوذ هذا الاديب كان عظيما رافقه نفوذ الشاعر بول ده مون Pol De Mont ، والكاهن غيدو جزيل Guido Gezelle .



مترلنك

ومنذ الحرب الكبرى الماضية واصل ادباء الشباب الفلمنكيون جهودهم على منوال اسلافهم . فكما كان المصورون في العصر الفلمنكي الكبير يحبون تصوير مناظر الحياة الشعبية هكذا كتاب اليوم فهم يصورون حياة الفلاحين او العمال بما فيها من البؤوس والاتعاب ، من الاطماع والزهد بالنفس ، من الحب والبغض . ويطمع اسياد الحركة الادبية الفلمنكية في مجاراة الادباء الهولنديين كما يطمع الادباء البلجيكيون الذين يكتبون باللغة الفرنسية في مجاراة الادباء الفرنسيين .

وفي السنوات الاخيرة ظهر اديبان فلمنكيان فتحا في فن القصة فتحاً كبيراً هما موريس رويلان Maurice Roelants وجيرار والشاب Gérard Walschap على ان النفوذ الفرنسي ظاهر جلي في ما اصدره هذان الاديبان كما ان تأثير الشاعر الفرنسي رنبو Rimbaud ظاهر في « جرمينال » للشاعر الفلمنكي برت ديكورت Bert Decorte . ويحتل المسرح مكاناً لامعاً في حركة النهضة الادبية الفلمنكية . وفي طليعة الكتاب المسرحيين هرمان تيرلنك Herman Teirlinck الذي كتب « الشريط البطيء » ويدور موضوع هذا المؤلف حول رجل ينتحر غرقاً وفي بضع ثوان يستعيد الى ذاكرته جميع ما مرّ به في حياته . وصفوة القول ان النمو الثقافي وجهود الصفوة الادبية في مقاطعات الشمال تساهم في غنى تراث الفكر الهولندي في بلجيكا .



روحي

لنقولا بشرس

روحي ابتلاهـا النزاع ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

حلم هفا ، واختفى
من بعد ان رفرفا
مغلفـاً بالصفـا

هوى ، كثغر الصباحْ
لاح خفيفاً وراحْ
مثقـلا بالجراحْ

يا نزعتي في الحيـاة ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

لك الهوى والهنا
ولي الضنا والفنـا
اي شقي انـا

كانت ، ولما تزلْ
تغزل روحي الغزلْ
على سراج الاملْ

الامل الحـلو راح ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

عللتني بالوعـودْ
فماج حولي الوجودْ
مغرورقـاً بالورودْ

ما كان الا خداعْ
نزعت عنه القناعْ
فلا تطيلي الوداعْ

روحي ابتلاهـا النزاع ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

كوشوك هانم

او

غوستاف فلوبر في الشرق

لعمر فاخوري

ان ائمة الادب الفرنسي الذين زاروا الشرق العربي ، واستوحوا طبيعته وآثاره واحوال اهله ، كثيرون جداً ، تواصل حبل الرحلة فيهم من عهد فولني الذي زار بلادنا قبل الثورة الفرنسية الكبرى ، ونشر سنة ١٧٨٧ كتاباً سماه « رحلة الى مصر وسوريا » اودعه مشاهداته وخاطراته وتأملاته . وتبعه لامرتين الذي نزل بيروت في السادس من تشرين الاول سنة ١٨٣٢ ، فجاس خلال هذه الديار ، نحو ثمانية اشهر ، اخرج بعدها كتابه المشهور « رحلة الى الشرق » . ويليهما ارنست رنان المؤرخ العلامة الذي اوفده الامبراطور نابليون الثالث في بعثة اثرية عام ١٨٦٠ فرجع بعد اقامة طويلة بكتابه « سيرة المسيح » وبالخطوط الاساسية لسلسلة مؤلفاته في « اصول النصرانية » . ولعل آخر هؤلاء الائمة عهداً موريس بارس الذي لم تستغرق رحلته عام ١٩١٤ الا زهاء ثلاثة اشهر ، لكن الادب الفرنسي افاد منها القصة الساحرة « جنينة على العاصي » والكتاب الممتع « تحقيق في بلدان الشرق الادنى » .

هؤلاء الاربعة من ائمة الادب الفرنسي ، عرفوا بلادنا واهلها ، ودونوا في كتب معروفة متداولة ما شهدوه وخبروه بانفسهم ، قد ذكرناهم باسمائهم ، وهم — اذا ما ذكر هذا الشرق العربي — على كل لسان . لكن عشرات غيرهم من العلماء والشعراء ، والمنشئين والمؤرخين ، تقدموهم او ترسموا خطاهم ، حتى لم يكد يبقى ، بين الحربين ، اديب او مفكر او صحفي من الفرنسيس ، الا القى دلوه في الدلاء . وبالطبع لقد كان الاثر او رد الفعل الذي احدثته في الزائرين ، طبيعة بلادنا وطبائع اهلها ، مختلفاً باختلاف الامزجة ، بين كاتب وكاتب ، او بين شاعر وشاعر ، او بين عالم وعالم . وهكذا اصبح لشرقنا العربي في الادب الفرنسي ، مجموعة قيمة من شتى الصور ، كل واحدة تكمل الاخرى ، وان كنا لا نجزم بانها جميعاً تؤلف الصورة الاصلية . ولكن هل الى هذه الصورة الاصلية من سبيل ؟ فكأي من زائر بلد يجيئه باكثر مما يأخذ منه .

غوستاف فلوبر

ومن ائمة الادب الفرنسي الذين عرفوا بلادنا واقاموا فيها ، لكن لم يقسط لرحلتهم المشرقية ، من الشهرة والذيوع ، مايقترن به اسم لامرتين ورنان مثلا : الشاعر جيرارده نرفال ، والقصصي غوستاف فلوبر ، رغم ان رحلتي هذين الاديبين لم تكونا عرضة لان يزينهما العلم ، او تشينهما السياسة ، وانما كانتا الأدب والفن

ومتعة النفس – خالصتين . ولعلها لهذه العلة بعينها ، لم تشهرا بين الناطقين بالضاد ، الذين عرفوا لامرتين بقصصه المعربة كرافايل وغرازيلا ، وهي ليست من جياد مؤلفاته ، وعرفوا رنان بالضجة التي اثيرت حول كتابه في « سيرة المسيح » وقد كان هو افضل جداً من تلك الضجة .

ويتناول حديثنا اليوم ، غوستاف فلوبر المنشيء النابغة الذي خلف في صميم القرنين التاسع عشر والعشرين الفرنسيين ، سواء أبطرفه القصصية ، ام بمدرسته او بمذهبه الادبي ، اثراً من ابقى الاثار . اما جيرارده نرفال ، فنحن واياه على موعد لقاء آخر .

في الرابع من تشرين الاول سنة ١٨٤٩ ابحر غوستاف فلوبر وصديقه الاديب مكسيم ده كان من مرسيليا ، على ظهر باخرة تدعى « النيل » . فبلغا الاسكندرية في الخامس عشر منه . وبعد ان اقاما في القاهرة ستة أسابيع ، استأجرا زورقاً صعدا به النيل حتى الشلال الثاني . وفي الثاني والعشرين من اذار هبط الصديقان وادي حلفا ، وهناك بين الاطلال الرائعة صرخ فلوبر بغتة ، كارخميدس في الحمام : « وجدتها . وجدتها .. سأسميها ايما بوفاري . » وطفق يعيد هذا الاسم مجرباً غنته على السمع – يعني بطلة قصته المشهورة التي كانت تشغل ذهنه منذ ذلك الحين ، ولم تنشر الا سنة ١٨٥٦ اي بعد سبع سنين . ومن قرية « قنا » سافر صاحبانا على جملين الى القصير ، على شاطىء البحر الاحمر ، وكاد في الطريق يهلك عطشاً : فلوبر يتلمظ بذكر مرطبات تورتوني الباريسية ، وده كان يهم بقتله .. ثم عاد الرحالتان الى مصر ، وابحرا الى بيروت ، حيث تعرفا الى رسام مغمور من مدرسة « غوتيه » يدعى كميل روجيه ، وكان موظفاً في دائرة البريد الفرنسية . وقد زارا القدس والناصرة ودمشق وبعلبك ، وضربا عصا التجوال في القرى اللبنانية . واخيراً في تشرين الاول من عام ١٨٥٠ ابحرا من بيروت شطر القسطنطينية . فتكون الرحلة قد استغرقت عاماً كاملاً .

لامر ما يقول مؤرخو سيرة غوستاف فلوبر : « لا مندوحة لنا ، اذا ما تكلمنا على حياة هذا الكاتب العاطفية ، عن ان نخص كوشوك هانم بالذكر » . فمن كوشوك هانم هذه ، او السيدة الصغيرة ؟ . هي راقصة حظية قضى فلوبر في منزلها باسنا ، من قرى مصر العليا ، ليلة واحدة . لكن الذكرى لازمته طويلا ، وظهرت آثارها في ادبه وكتاباته اكثر من مرة . الى حد ان صديقته الشاعرة لويز كوله غارت منها غيرة شديدة ، حتى اضطر فلوبر الى مخادعتها تنصلاً وتبرئة لنفسه . فلما رحلت لويز كوله بدورها الى الشرق ، بعد ردح من الزمن طويل ، لم تتمالك عن ان تقصد الى قرية اسنا ، على شاطىء النيل ، لعلها تعرف شيئاً من امر تلك المخلوقة ، وسر فتنتها العجيبة . ويزعم بعض المؤرخين ان كوشوك هانم ، هذه الحسناء ، تدعى صفية . وكانت قبلة انظار باشوات القاهرة وبكواتها ، ومهوى افئدتهم . لعبت بعقول الكثيرين ، احدهم سري انكليزي رغب في التزوج منها . ثم اصبحت حظية لعباس باشا حفيد محمد علي الكبير ، ومن هنا لقبت بالسيدة او الاميرة الصغيرة . لكن عباس باشا غضب عليها ذات يوم ، فنفاها الى قرية اسنا . وظل يفد عليها بمنزلها الجميل ، على شاطىء النيل ، الكبراء ، والمترفون وعلية الرحالين ، فاثرت .. وبعد مقتل عباس رجعت الى القاهرة ، وفيها توفيت ..

كان لفلوبر صديق حميم هو الشاعر لوي بويه نظم قصيدة استوحاها من ذكريات صديقه المدونة ، وكأنه يتكلم بلسانه ، وصف فيها النيل ونخيله المظل ، والتمساح الذي سبقه الى «التغزل» به ابو نواس القائل .

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية	مذ قيل لي انما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين عن كثب	فما أرى النيل الا في البواقيل ..

يريد : « في الاكواز » .

ويخاطب الشاعر الفرنسي الاميرة الصغيرة قائلاً : « في منزلك باسنا ، ما ترى تطلعين اليوم ، اي كوشوك هانم السمراء ، اذ انت جالسة عند النهر ؟ » ثم يسألها عن خروفها الذي كان يرافقها في نزهها ، المخضب بالحناء ، وعن خادمتها النوبية القاعدة القرفصاء بين قدميها ، وعن ضارب الدربكة المهوم على آلته الخرساء . ويصف طربوشها الاحمر الواسع الذي يزين رأسها بشرابته المرسلة ، وقرصه الذهبي ، وزمردته الخضراء .. ويختم القصيدة قائلا : « لكن ظلا يغيم الان في عينيك البراقتين ، كأنما تحسين في سويدائك بمثل حزن الشكلي ، فأنت تخفضين رأسك ، منصتة الى صوت الزوارق البعيد ، على صفحة الماء .. » ولقد كان غوستاف فلوبر في رسالة الى صديقه الشاعر لوي بويه ، في الرابع عشر من تشرين الاول سنة ١٨٥٠ قال « علام اجد في نفسي هذه الرغبة الحزينة بان اعود الى مصر فاشاهد كوشوك هانم مرة ثانية ؟ .. قل ما تشاء ، فاني قضيت ثمة سهرة لا يعرف المرء كثيراً من مثيلاتها .. » وانا لنتساءل مع فلوبر ايضاً ، « اجل ، علام هذه الرغبة ؟ . » لكن من يدري ؟ فلعل كوشوك هانم تلك ، رمز عن سحر المرأة وفتنتها .

عمر فاخوري

حديث البترول

للدكتور نقولا فياض

◆

لقد سيطر الذهب على العالم طوال آلاف السنين، اما اليوم بعد ظهور البترول فان كثيراً من الناس لا ينظرون الى الثمانمئة مليون طن التي تخرجها الارض منه كل عام نظرهم الاول وقد حولوا بعضاً من حبهم واعجابهم الى هذا المنافس الجديد . فالبترول ذهب سائل بل هو اوسع من الذهب سلطاناً وأبعد اثراً . وعلى الرغم من تزايد المستخرج منه الى ما يقرب من مئتي مليون طن في السنة مما ادى الى رخص سعره فان اهميته في حياة الافراد والشعوب لا تزال تتعالى بفضل الرقي واتساع الحاجة اليه في اكثر الصناعات من الآلات الصغيرة التي تستخدم في المنازل الى المحركات الضخمة التي يعتمد عليها في النقل وجر الاثقال جواً وبحراً .

ولم يكد يمضي قرن على دخول البترول في حياة العالم الاقتصادية حتى صار كالدم في عروقها ، وأصبح النزاع من حوله شديداً كما كان حول الذهب من قبل .

ولا تجد بين العناصر والقوى التي تقوم عليها حياة الانسان ما تنعكس في مرآته عظمة العصر الحاضر ، كما تنعكس في البترول . فهو المداد الذي يسطر به تاريخ هذا العصر بما ينسج في اعماق الارض وعلى سطحها من شبكة واسعة النطاق بين آبار ومصاف واحواض وشركات استثمار وما يثير حوله من تزاحم الاطماع وتصادم المصالح حتى صار الحب والبغض والسلم والحرب جنوداً تعمل تحت امرته وتسير في خدمته .

فالبترول كالساحر الماهر الذي يحرك الدمى دون ان تراه فتبصر الاشخاص تروح وتجيء وتعلو وتهبط وتختفي وتشعر باليد التي تديرها والقوة الخفية التي تسيطر عليها ولكن مفتاح السر لا تهتدي اليه ان لم تدرك حقيقة المحرك واسراره .

ان سائق السيارة عندما يأخذ مؤونته من البنزين وينطلق بسرعة خمسين ميلاً او مئة ينهب الارض نهباً لا يدور في خلده ان البترول الذي بين يديه يقطع مرحلته الاخيرة وان هذا السائل المتفجر من قلب الارض قد اجتاز قبل ان يصل اليه ويصير صالحاً لخدمته طريقاً طويلة شاقة ، هذه الطريق هي حياته الغريبة بل تاريخه العجيب الذي اردت ان اعطيكم لمحة عنه .

على شواطىء البحار الواسعة في المكسيك والقوقاز والهند وبلاد العجم تمتد منذ الاف السنين مفاوز شاسعة قاحلة تبدو للمسافر الذي تسوقه اليها الاقدار منتهى اليأس . تربة جافة بخيلة تحرقها شمس الهجير بلا شفقة فلا ماء فيها ولا حياة وقلما يقع فيها على بقعة معشبة او مشجرة . هذه المفاوز كانت تجوبها القبائل الرحل في العصر السابق بينما يعيش الفلاح على عتبتها او بجوارها يحرث ارضاً ضئيلة خفيفة الانتاج وعلى ضفاف البحار والاوقيانوس والخليج الفارسي وبحر قزوين تقوم المدن التجارية والقلاع والحصون وكانت القوافل والجمال التي تطأ هذه البيد تجدّ في سيرها نحو المدينة ما استطاعت تخلصاً من هذه السهول التي لا ينتظر فيها غير البلاء والفناء .

ان القفار القائمة على جوانب البحار تختلف عن غيرها من قفار الارض . فالصحراء في بلاد العرب وسواها فياف مترامية الاطراف من حجارة ورمال لا شيء يقلق سكونها السامي العميق ، اما القفار المنبسطة من الشواطىء فلها خفوق واختلاج والارض اليابسة تنتفض احياناً كما ينتفض الحيوان الجريح فترى بين عشية وضحاها تلالاً ترتفع ومن هذه التلال يخرج ضرب من الوحل قاتم اللون كريه الرائحة ينتشر في السهل ثم ينشق ويقسو ثم يتحول الى تراب .

هذا السائل الدهني اللزج الذي تنشق عنه قشرة الارض السطحية عندما تأخذ احشاء الارض بالارتعاش يسيل سيلاً بطيئاً فيغمر التربة ويحولها الى طين ولكن عندما تتنفس الارض تنفساً عميقاً وتهتز اهتزازاً عنيفاً فانه يتدفق كالينبوع بغزارة وقوة حاملاً معه غازات الارض مقتلعاً في طريقه الحصى والحجارة فاذا القفر كالبحيرة واذا القبائل الرحل تحمل خيامها هاربة مما ترى مذعورة مما تسمع من صفير الغازات

ودوي الارض او انينها ٠

ويقع غالباً ان شرارة تنبعث فجأة فتتحول البحيرة الى نار في اسرع من لمح البصر ويظل النبع يقذف بنفطه من الاعماق فلا يبلغ سطح الارض حتى يغوص في اللهب وهكذا تمضي الايام والشهور والاعوام وعمود النار منتصب في السماء ٠

ان اقدم منابع البترول هي شبه جزيرة ايشرون في بحر قزوين ٠ هناك منذ آلاف السنين عندما كانت الارض لا تزال في شبابها وكان البترول لا يزال في طبقات كثيفة تحت قشرة الارض الرقيقة كانت مئات من الينابيع المشتعلة قريباً بعضها من بعض تحرق بلهيبها عنان السماء فكان لهذه المصابيح المستطيرة على الشاطىء وخصوصاً عندما يعتكر الليل منظر ساحر ٠ وهي التي كانت تبعث الخوف في قلب الانسان القديم فيخر لها ساجداً ويعبدها كاله ٠

وقبل المسيح بعصور كان النبي زارازوسترا يجتاز السهول الخضراء في ايران بين اتباعه ومريديه حتى اذا انتهى به الطواف الى شبه جزيرة ايشرون ابصر النار الخالدة فملأته خشوعاً ووقف امامها سابحاً في تأملاته واحلامه الى ان تجلت له الحقيقة الكبرى ٠

هذه الحقيقة الكبرى طلعت على الناس بديانة النار المقدسة ديانة الاله « اهور مازدا » التي عاشت الفي سنة في البلاد الايرانية ولايزال اثرها باقياً حتى الان ٠

ولقد خبت النار منذ ازمان وبنيت فوقها الصروح ولا يزال الناس يحجون الى منابع البترول لا ليأخذوا من هذا السائل المعدني بل ليسجدوا بخشوع لدى انقاض آخر هيكل للنار المقدسة ٠

اذن ما تعرّف الانسان الى البترول للمرة الاولى الا ليخلق ديناً ، على ان الدين تلاشى ولم تتلاش النار التي اوجدته ٠ وبعد زارازوسترا بمئات السنين قصد الاسكندر المكدوني الى ايشرون وكحّل عينيه بمرأى اعجوبة الشرق ٠ وبعد الاسكندر بمئات السنين أقبل بومبه الكبير مع جيوشه في حلق الحديد ورأى هذا المشهد الرائع فدهش له ٠ وكثير من الغزاة والفاتحين الذين اخضعوا لسلطانهم مناطق البترول مروا من بعدهم في هذا السبيل دون ان يدركوا قيمة الكنز الذي تضمه هذه الارض الحقيرة البخيلة ٠

وكان النفط يذهب سدى فيتبدد في الارض ويتجمع بحيرات في طبقات كثيفة فتمر قبائل الهندوس وهنود فنزويلا وكهان الفرس وبدو اسيا الوسطى وغيرهم من مختلف السلائل البشرية امام هذا الوحل او التراب القذر وتلمس ايديهم السائل الدهني اللزج ويسمعون باسطورة اله النار فيلعنون النفط الذي كان السبب في قحط تلك البلاد ٠

وهكذا كانت بداية تاريخ البترول بركة ولعنة : بركة الاله اهور امازدا ولعنة الفلاحين ٠

ومن الغريب ان احداً من تلك الجماهير المختلفة لم يفكر لحظة بتجربة هذا السائل بل كانوا جميعاً يعتقدون انه عديم الفائدة ٠ واول من نظر اليه نظرة جديدة هو الشعب الصيني فقد كان النفط مجهولاً عنده وهذا ما لفت انظار علمائه اليه وجعلهم يتلمسون حقيقته حتى ادركوها وانشأوا لاستخراجه طرقاً اصبحت اليوم مهجورة ٠

كان ذلك سنة ٢٢٠ قبل المسيح اذ امر امبراطور من اسرة الشنس في مملكة الصين الوسطى بصنع قساطل للحفر والتنقيب عن الملح فهبّ المهندسون الى العمل وصنعوا ستمئة واربعين قسطلاً وتوصلوا الى طريقة للحفر لا تقل دقة عن الطرق الحديثة ٠

وكان الوقت كفيلاً لهم بما وجدوا فيه من متسع فقد يدوم الحفر سبع سنوات ويبلغ احياناً من العمق ثلاثة آلاف قدم ٠ وكان الصينيون يعملون في الستمئة والاربعين بئراً ليل نهار مستخدمين من الادوات مثل ما يستخدم اليوم ، وكانت فرق العمال تتبدل كل عشر دقائق والثيران تدير الدولاب الكبير والناظر عليهم يهز لهم السوط كلما اقتضى ذلك ٠

لقد طلبوا الملح فوجدوا البترول ولم يكن دهش المهندسين قليلاً عندما ظهر لهم في آبار يانغ كيانغ وغانزي سائل مجهول الهوية لم يحسبوا له حساباً في خططهم واخذوا يتذمرون لهذا الحادث الذي اعترض لهم دون العمل ثم امعنوا نظرهم في هذا النفط الجديد وعمدوا الى الانتفاع منه فوجدوا بالاختبار انه يحترق بسهولة ويعطي نوراً جميلاً وقادهم ذلك الى صنع مصابيح له فكان امبراطور الصين اول من اضاء قصره بالبترول ٠

ان الصينيين لم يتعلموا تقطير النفط وترشيحه الا انهم عرفوا ان يستفيدوا منه طبياً فاستعملوه في الامراض الجلدية دهناً والرئوية تنفساً ولا يزال الاستعمال منتشراً في بعض بقاع الشرق ٠

والتربة الصينية فقيرة بالنفط وحتى اليوم تكاد هذه البلاد الجبارة لا تخرج منه ما يربو على ثلاثة برميل في اليوم ولما كان ابناء السماء يجهلون قديماً وجود امكنة على سطح الكرة يسيل منها النفط بغزارة فقد اهملت صناعتهم واسرع اليها الفناء ·

على ان ذلك لا يمنع ان يكون ثمت صلة بين الماضي والحاضر فليس بمستبعد ان يكون الشرق اخذ عن الصينيين طرقهم في الكشف والتنقيب عن الملح والماء وعن الشرق اخذت اوربا في القرون الوسطى وعن اوربا اخذت اميركا فطاف اختراع الصينيين العالم وتركت عبقريتهم اثراً في كل بلاد ·

ملحمة البترول

اتى على اكتشاف الصينيين للبترول حين من الدهر قبل ان يتبين الشرق ما وراءه من المنافع ، وكانت اول بقعة اقيمت فيها صناعة له هي شبه جزيرة ايشرون المحاطة بهالة من الاساطير · فقد ظلت طوال هذا الزمن المكان المقدس للنار الابدية فشيدت فيها الهيا كل لزرازوسترا وعكف الكهنة على عبادتهم يملأون سماءها باناشيدهم الحارة ويفرضون الرسوم على الحجاج ويتدخلون في سياسة البلاد وسياسة الشرق عامة ·

ولما فتحها العرب عفت الهيا كل وخبت النيران ، ثم نصبوا عليها رئيساً يقال له الخان ، وتابعوا طريق فتوحاتهم تاركين وراءهم قبائل متوحشة ومدينة باكو الجديدة ومنابع البترول ·

ووجد الرئيس الجديد نفسه في بلاد فقيرة تجارتها ضيقة النطاق ومواردها ضئيلة وارضها قليلة الانتاج ، فدفعته الحاجة ، والحاجة ام الاختراع ، الى البحث عن وسائل تفتح له ابواب الرزق ، ورأى البترول الراكد في ارضه فباحث في امره شيوخ البلاد وعقلاءها فتفتقت لهم فكرة الاستفادة منه بعدما رأوا فيه من خاصة الاحتراق والانارة فما كان من الخان الا ان انشأ له مصنعاً خصيصاً في قصره وراح يختلف اليه كل يوم ويشرف على الاعمال بنفسه والمهندسون يتخبطون في الاوحال والاوساخ وهم جادون في عملهم يستخدمون ادوات اولية حتى اهتدوا الى طريقة بسيطة لتقطيره · فاستبشر الخان خيراً وما زال حتى وفق الى صنع مصابيح له وحينئذ نظر الى المستقبل نظرة الظافر الواثق المطمئن ، لان تجارة واسعة قد انفتحت له ابوابها تلك التجارة التي يمكن القول انه كان فيها الاب الروحي لمن جاء بعده من تجار النفط وملوكه امثال نوبل ودريك وروكفلر ·

ويقص الرواة انه ارسل واحداً من هذه المصابيح الى شاه العجم فاعجب به كل الاعجاب واذن لمخترعه بان يبيع البترول في انحاء المملكة الفارسية على شرط ان يكون للشاه وحده الحق في صنع المصابيح والمتاجرة بها فلبى الخان طلب مليكه وارسل له بياناً اطلعه فيه على سر صناعة المصابيح قانعاً بما ترك له من امتياز المبيع ، وكانت الصفقة رابحة فاستطاع ان ينفق على بلاطه بلا حساب وان يبني له قصراً فخما ويشتري خولا وعبيداً · واتسعت تجارة البترول فكان يرسل الى فارس على ظهور الجمال في زقاق من الجلد فيتهافت الكبراء والاغنياء على ابتياعه لينيروا به قصورهم بعد ان يدفعوا ثمن المصابيح الى الخزينة ·

ولم يعدم الخان وسيلة لتصريف بضاعته بين الفقراء الذين لا يستطيعون استعماله لغلاء اسعاره فكان يبيعه لهم خاماً بغير تقطير فيستضيئون به على نحو ما كان يستضيء الصينيون قديماً · وعلى هذا الوجه اصبح الخان غنياً في ذلك البلد الصغير وانقاض قصره الباقية الى اليوم تدل على فداحة الارباح التي كانت تدرها عليه تجارة النفط في ذلك العهد ·

ولكن لكل شيء نهاية على هذه الارض وصفاء الحال لايدوم لمخلوق ، فاقبل ذات يوم جنرال روسي يطلب من الخان باسم القيصر ضم باخو الى الممتلكات الروسية فتظاهر بالطاعة ودعاه الى زيارة القصر وهناك اغتاله بضربة سيف وحز عنقه وارسل رأسه هدية الى الشاه فلم يمر العام الا والجيوش الروسية على ابواب المدينة فاضطر حسن خولي خان الى الفرار على مركب شراعي حاملاً معه سر صناعة البترول ·

واستولى الروس على باخو دون ان يهتموا بالهارب وما حمل · غير ان دولاب الاعمال وقفت حركته وبارت صناعة البترول وتجارته

وعادت الناس الى الاستضاءة بالشموع ، والروس لا يأبهون بما يرون لانهم كانوا يجهلون قيمة النفط وما كان الخان يستفيد منه ٠

وبعد ثلاث سنوات على الحادث جاء المدينة رجل عينه القيصر والياً عليها وكان هذا التعيين بمثابة نفي لا ترقية لان باخو كانت بين الممتلكات الروسية من ابعدها شقة واكثرها مشقة واقلها جمالا ومالا ولكن الوالي كان ذكياً فعمد الى استمالة مولاه باخلاص الخدمة وحسن التدبير وارسل الى بطرسبرج بياناً ضافياً عن حالة البلاد الاقتصادية والسياسية ذكر فيه الى جانب اخلاق الاهاين وما يمكن لري الاراضي واصلاحها وجود زيت معدني غريب الصفات يستحق اهتمام المجمع العلمي الامبراطوري ٠

فاطلع الوزير سيده على هذا البيان فامر بارسال بعثة علمية لدرس هذه الاعجوبة ٠ وجاءت البعثة وقضت اسابيع في الدرس والتنقيب واصدرت حكمها المبرم على اغنى منطقة بترولية في العالم واعلى جوهرة في تاج القياصرة كما يلي : « البترول سائل معدني لزج خبيث الرائحة لا يرجى منه نفع ولا يصلح لعمل ما خلا تزييت دواليب المركبات للتخفيف من صريرها ٠ »

وما كان هذا الحكم ليفت في ساعد الوالي او يثبط من عزيمته فسعى الى ايجار المنطقة الزيتية لرجل ارمني ببضعة الاف روبل وانبأ الوزير بذلك فاثنى على مهارته الفائقة لانه استطاع الحصول على هذا القدر من المال من ارض حكم اشهر العلماء بخلوها من الفائدة ورقاه الى منصب ارفع ٠

وبقي البترول يتدفق كالعادة ويضيع سدى في السهول الواسعة حول باخو ، كما كان ضائعاً في سهول اميركا الوسطى وبراري بنسلفانيا وصحاري بغداد وجبال القوقاز حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث انتشر استعماله انتشار البرق وسطع نوره في كل مكان فالتقت الحلقة الاخيرة من سلسلة حوادثه بالحلقة الاولى وعاد الهاً يعبدُ وكما حج اليه الناس في عهد زارازوسترا يحجون اليه اليوم ويكبرون فيه عصا السحر التي تفجر الغنى وتبعث القوة ٠

مرحلتان من تاريخ البترول

في ذلك الزمان كانت امواج البحار الفتية تتدفق هادرة على اراض في بدء تكونها ٠ وكانت شواطىء اليابسة تمتد في الافاق البعيدة والجبال تتعالى نحو السماء والبراكين تقذف نيرانها والرياح تعصف بالامواج وترفعها والبروق تختلج في جو مدلهم والعصور تتساقط حباتها على مهل في لجة الكون الازلي ٠

وكانت الارض خاوية خالية والكائنات لم تستقر بعد على حال من اشكالها ولا حياة الا في اعماق الاوقيانوس ٠ هناك في ظلمة القدم كانت الخليقة الاولى تلوي تحت الم المخاض وكان البحر مملوءاً بجويوينات صغيرة من الحلزون واشباه الحلزون تولد وتموت في اصدافها وكان الماء يقذفها في سرعة جريئة الى بعد الاف الاميال نحو خلجان جديدة فتنتهي سفرتها وتنام في تلك الاعماق الهادئة نومة الابد وتظل الامواج تقذف بالمليارات من هذه الكائنات الحقيرة فتتجمع طبقات بعضها فوق بعض حتى تصير لقاع البحر غطاء كثيفاً من الطين اللزج ٠

وتمر ملايين من السنين تشهد فيها اعماق البحر حوادث غريبة كان الماء يضغط على طبقات الحلزون المتجمع بثقل الاف الامتار فيتحول الحلزون تحت هذا الضغط الشديد شيئاً فشيئاً الى ان يصير كتلة سوداء سائلة دهنية ٠

ثم تأخذ المياه بالانسحاب فتتسع اليابسة وتنمو فيها الحياة وتغطي رواسب الاملاح والكلس طبقات الحلزون ٠ وكانت الهزات الارضية تتعاقب والمياه تحسر عن اراض جديدة فترتفع الجبال وتمتد السهول وتنبسط المروج لكن في احشاء الارض غلياناً مستديماً تجيش به بحيرات الحلزون الدهنية السوداء ٠

ومن حين الى حين يجد السائل منفذاً الى سطح الارض فاذا ينابيع تتفجر وتشتعل فتنير ظلمة الاجواء ٠

قد عرفتم ولا ريب ان هذه الينابيع هي النفط بعينه فرأيتم الى اي اصل حقير ينتمي اليه هذا المعدن الكلي القدرة الذي يسيطر

اليوم على العالم وكيف انبثقت من مليارات الحلزون ملايين الاطنان من البترول .

وقد مر بنا في مطلع هذا المقال ان الصينيين وكهان باخو تعرفوا الى هذه القوة المخزونة في اعماق الارض وحاولوا استخدامها لكن المؤرخين القدماء يذكرون لنا ايضاً ناساً غيرهم فهيرودوتوس ابو التاريخ يشير الى اعمال الفرس في ابارسوزا « وبلين » يقص حكاية مدينة ساموزانا في سوريا وكيف ان الجيش الروماني هاجمها باسطوله لستين سنة قبل المسيح بقيادة لوكوليس . ولم يكن لهذه المدينة من العدة والعدد ما ترد به جنود القيصر ولكن كان لها النفط فسكبه الاهلون على سطح الماء واشعلوه .

فاستولى الذعر على الرومان لانهم لم يشهدوا عمرهم البحر يحترق . وذهبت سفنهم طعم النار وكل من حاول التقدم منهم نحو الشاطئ كان النفط يسكب عليه من الدلاء فيخترق الدروع وزرد الحديد فاضطر لوكوليس الى الانسحاب ونجت المدينة من الغزاة بفضل البترول ويذكر هذا المؤرخ كذلك ان اهل بابل كانوا يستعملونه في ترفيت الطرق وان بلداناً مختلفة في ازمنة مختلفة ادركت ايضاً وجود هذا السائل المعدني وعرفت شيئاً من مزاياه .

وصلت هنا الى المرحلة الثانية من تاريخ البترول . ماذا اكتب عن هذه المرحلة ، ملحمة كبرى تتضاءل امامها ملحمة اوميروس وتقصر عنها معارك ابطاله وجبابرته . منذ اليوم الذي اظهر فيه النابغة الفرنسي سليغ في منتصف القرن الفائت منافع البترول وما يستطاع استخراجه منه من غاز وزيوت ومواد ملونة وبرافين وعقاقير طبية الى تهافت الافاقين والمخاطرين وطلاب الكنوز وتزاحمهم بالمناكب للتنقيب عنه الى تأسيس شركات استثماره ، روكفلر في اميركا ودترديناك في الجزر الهولاندية ونوبل في القوقاز، نوبل مخترع افظع آلة جهنمية للحرب هي الديناميت وواضع اكبر جائزة عالمية من اجل السلم ، الى هذه الايام التي تحصد الحرب فيها الملايين من البشر ولاجله .

لا اذكر المتاعب والاخطار التي يعانيها من يسعى وراء هذا الكنز الوسخ الخبيث الرائحة وكيف يقضي عمره بين اليأس والرجاء ، والشك والحذر ضارباً في مضارب الارض ، نائياً عن الاهل منفياً يذيبه حر الهجير وتضنيه حمى الجهاد وحمى الدفاع ضد اللصوص والعصابات المسلحة ، وعراك مستديم بين المرأة والخمرة . ولا ما تثير مطامع الافراد والحكومات من دسائس السياسة والجاسوسية وما يرافقها من تقتيل ويعقبها من تخريب . ذلك شرح يطول ، تاريخ العصر مكتوب بالبترول ومكتوب بالدم . حسبكم ان تعرفوا ان النفط محور السياسة العالمية ، يدير المعاهدات والمؤتمرات ويصرف كيف شاء احوال السلم والحرب والغنى والفقر والحرية والاستعباد . في الهند وروسيا واميركا والعجم ورومانيا وما بين النهرين وسائر البلدان التي اصبحت بنعمة البترول مطمعاً للغزاة او ميداناً للحروب، الكلمة الاخيرة هي لهذه القبور التي ترقد فيها حيوينات صغيرة ، طال عليها القدم في ظلمات الدهور .

هنا يحق لنا ان نتساءل ما يكون مصير الحضارة والعالم اذا نضبت منابع البترول يوماً ؟ ان كثيراً من العلماء يعتقدون امكان ذلك ويقدرون الموجود منه بثمانين مليار برميل اي ما تكفي ستون سنة لانفاقه . فما يحل بالابراج والاحواض التي شيدت له والمصانع التي يدور فيها العمل بواسطته ، وهل تقف حركة النقل السريع فلا سيارات تنهب الارض ولا سفن تجوب البحار ولا طيارات تطوي الاجواء وتعود الحياة الى ما كانت عليه في العصور الماضية . وتصبح مباني النفط كآثار الاقدمين يحج اليها المسافر كما يحج الى الاهرام وحرائق تدمر او بومباي فيسمع من الترجمان حكاية هذه الانقاض الناطقة بما كانت عليه شركات البترول من العظمة، وتتمثل له ستاندرد اويل والشل كما تتمثل بابل واشور ؟ ان هذه الفكرة تشغل رجال السياسة والعلم والاقتصاد ولعلهم يهتدون الى معالجتها باختراع النفط الصناعي او التحليلي فتقوم بدلا مما كان معامل نظيفة صامتة يحضر فيها اكثير آخر للحياة العالمية لا ترافقه اخطار ولا تهرق في سبيله الدماء . على كل حال فموعد هذا اليوم بعيد وغير اكيد والى ان تدق ساعته فالحرب على الارض لا تزال حامية الوطيس من اجل دمها الاسود وفي شتى الانحاء . لا تزال الانابيب تغرز في قشرة الارض وصراخ المجازفين والطامعين والمجاهدين تدوي اصداؤه في ارجاء العالم مرددة في كل زمان ومكان : البترول .. البترول .. البترول ..

نقولا فياض

حركة الاستشراق في فرنسا

◆

بحثنا هذا في حركة الاستشراق التي ارتسمت في اوربا يصح ان يكون مقدمة لابحاث اخرى في هذا الصدد . اما هذه الحركة فيرجع عهدها على ما هو معروف لاتساع الفتوحات الاسلامية العربية التي جعلت الشرق والغرب وجهاً لوجه ودفعت الغربيين الى استطلاع عادات اهل الشرق ولغاتهم واساليب حياتهم ثم امتدت واسعة النطاق مستحكمة الحلقات من القرن الثاني عشر – على الغالب – الى القرن العشرين فكان لهذه الحركة اعلامها وامجادها ممن تركوا في اللغة العربية خاصة وفي اللغات الشرقية عامة آثاراً تذكر فتشكر .

لا انحدث اليكم الان بمسألة درس اللغات الشرقية التي اسميها مسألة الاستشراق من وجهتها الاوربية العامة بل من الوجهة الفرنسية لان هذه المسألة قد اتخذت في فرنسا شكلاً جدياً خاصاً واستقرت هناك على اسس العلم والبحث والتنقيب وازلك لا مبالغة في القول ان فرنسا حملت مشعل الاستشراق في الغرب بفضل ما اسست لدرس اللغات الشرقية من معاهد وما اخرجت لها من علماء وبحاثين مهدوا لمستشرقي اوربا سبل التعرف الى لغات الشرق .

لقد ادركت فرنسا انها بحاجة الى علماء يعرفون اللغات الشرقية وبخاصة منها العربية ولذلك تأسست في باريس في ٢٩ نيسان من سنة ١٧٩٥ مدرسة اطلقوا عليها بمدرسة اللغات الشرقية وهدفها تعليم لغات الشرق الحية كالعربية والفارسية والتركية فأخرجت طائفة كبيرة من المستشرقين الفرنسيين بل الاوربيين من المان وطليان وسويسرانيين وغيرهم . وجدير بالذكر ان هذه المدرسة نفسها اصبحت فيما بعد مثالاً انشئت على هيئته المدارس الشرقية في مختلف عواصم اوربا . كان من نتيجة ذلك النجاح الذي صادفته مدرسة باريس هذه ان اتسع نطاق برنامجها حتى شمل بالاضافة الى اللغات المتقدم ذكرها ، اهم لغات الشرق الاقصى كالصينية واليابانية والانامية ثم الارمنية والهندستانية . ولم تكن مرجعاً لطلاب اللغات الشرقية فحسب بل انها كانت في الوقت نفسه مرجع الذين يتهيأون للمناصب القنصلية في الشرق . ولا بد من ان نذكر هنا ما كان لسلفستر ده ساسي المستشرق الفرنسي العظيم من يد بيضاء في تأسيسها بل في توجيه حركة الاستشراق في اوربا عامة . وقد تخرج عليه طائفة من علماء اللغات الشرقية نختص منهم بالذكر فلجانس فرسنل الفرنسي الذي عينته حكومة بلاده قنصلاً لها في جده حوالي سنة ١٨٣٧ حيث كان يتصرف كقنصل ويدرس كمستشرق حتى عرض له ان التحق ببعثة علمية للبحث بخرائب بابل وشاء القدر ان يموت في العراق تاركاً رسائل واسعة في تاريخ العرب وآدابهم وآراء قيمة في الكتابات الحميرية .

ولم تنقض فترة قصيرة حتى اخذت دول اوربا تهتم اهتماماً متزايداً بمسألة اللغات الشرقية الحية وظلت فرنسا في اثناء القرن الثامن عشر مطمح انظار المستشرقين بفضل مدرستها اولاً ثم بفضل اولئك الذين تخرجوا على العلامة سلفستر ده ساسي وظلوا سائرين على اثره في طليعة مستشرقي اوربا . ومن تلامذته الذين يستحقون الذكر اتيان كاترمير الاشهر الذي ألف ما يزيد عن مائة كتاب في جميع اللغات السامية وترجم تاريخ المالك في مصر للمقريزي مع تعاليق حواشيه وعني بنشر مقدمة ابن خلدون في ثلاثة اقسام وترك مؤلفات عديدة في آثار القبط والبابليين والسامريين والافريقيين والعبرانيين وغيرهم .

ولم تنحصر مجهودات المستشرقين الفرنسيين بهذه النواحي من حياة الشرق العربي بل تخطتها الى شؤون الزراعة عند العرب فترجم المستشرق الفرنسي كليمان موله للفرنسية كتاب الفلاحة من وضع الشيخ زكريا الاشبيلي المعروف بابن العوام واستوعب نقله مجلدين مع التعليق عليه . وقد توفي موله في سنة ١٨٧٠ حيث اعترض حركة الاستشراق في فرنسا فترة جمود يرجع سببها للحرب السبعينية الشهيرة وما جرته عليه من صعوبات وخسائر . وفي اثناء هذه الفترة ذاتها توفي المستشرق الفرنسي كوسان ده برسفال الذي خدم كترجمان في الاستانة ثم جال بعدذلك ثلاث سنوات في بلاد الشام وتوغل في باديتها وخالط سكانها من البدو وقيل انه اشترى جياداً اصيلة نقلها معه الى فرنسا ومن الثابت انه اتقن اللهجات العربية على اختلاف ألوانها وقضى حياته في درس اثار العرب وتاريخهم وله في هذا الصدد كتاب يقع في ثلاثة مجلدات وتراجم قيمة للموسيقيين العرب وتآليف ومقالات في آداب الشرق . وهناك مستشرق فرنسي يستوقف ذكره انتباه ادباء العربية اليوم كما استوقف انتباههم من قبل وهولويس سيديلو الذي وضع تاريخاً للرياضيات عند اليونان وعند العرب . ووصف مجهودات العرب في العلوم الفلكية وصفاً مستفيضاً لم يتردد معه في تعظيم اكتشافاتهم حتى بخس اليونان حقهم . ومن اجل ذلك قام بينه وبين علماء عصره جدال عنيف حول عبقرية العرب وعبقرية اليونان في الاكتشافات الفلكية وسواها . وكذلك في كتابه تاريخ العرب قد خصهم بايات الشكر والتعظيم وقد نقل هذا الكتاب الى العربية احد ادباء مصر . واذا ألقينا نظرة على المغرب نجد ان لهجات البرابرة هناك كانت موضع عناية بعض كبار المستشرقين الذين صرفوا لدرس هذه اللهجات وتمحيصها وألفوا فيها كتباً قيمة كما انهم ألفوا في تاريخ البرابرة وعاداتهم واخلاقهم كتباً ألقت كثيراً من النور على عصور المغرب المظلمة . وقد تقصى المستشرق الفرنسي كيسان ده سلان اخبار البربر ودرس عن قرب اشكال حياتهم فوضع في هذا الصدد تاريخاً جزيل النفع والقيمة يقع في ست مجلدات ثم انعكف على درس مقدمة ابن خلدون فأنجز مهمة بدأ بها المستشرق الاشهر كاترمير وهي ترجمة هذه المقدمة وكان له الفضل في طبعها في ست مجلدات ثلاثة منها عربية وثلاثة فرنسية . هذه نظرة عامة في موضوعنا تمتد على التقريب من سنة ١٧٩٥ السنة التي تأسست فيها مدرسة اللغات الشرقية في باريس حتى مطلع القرن التاسع عشر حيث اخذت حركة الاستشراق تنتظم وتنتشر في اوربا بوسائل البحث والتنقيب الحديثة . ولا بد من القول في النهاية ان هذه الحركة كان لها تأثيرات بالغة في تحول اللغة العربية والمعارف العربية الى النهضة والاصلاح والتجديد . فالجانب الاوفر من ابحاث المستشرقين اصبح مراجع اهل الفكر والقلم عندنا في غير ناحية من نواحي العلم لان هذه الابحاث هي نتيجة الاختصاص المتقن والاستكشاف العلمي المتواصل . فبالاختصاص والاستكشاف العلمي توطدت حركة الاستشراق وكانت عاملاً من عوامل توثيق الصلات بين الشرق والغرب وكان لمدرسة اللغات الشرقية في باريس ولاولئك الذين تخرجوا منها يد بيضاء في التقريب بين البلاد العربية واوربا في هذا المنحي .

نسيم يزبك

عودة ..

على مفرق الطريق بين النور والظلمة

هو — نحن الساعة في ضباب .. ليته يمطر .. فينجلي الجو ..

هي — وماذا علينا ، لن يطول الهزيع ، ضع يدك على الحجر ، فتغرق في بحر الندى ..

هو — اتحمل النسائم اعراف الغد ؟. ان طيباً يوشوش في اذني .

هي — يهمهم بمثل البوح ؟.

هو — اكثر وضوحاً .

هي — لنصمت اذن ، هات يدك ، ودعني احسّ خفق العرق قبل انهيار الدجى ، واستمع للطيب غب ذلك .

هو — اتسمعين رجع نغم موجع ، يقبل من بعيـــد .. من اغوار ليل لم يولد بعد ؟.

هي — مخاض فجر جديد ..

هو — تطفئه شمس الفضول ،

هي — ويظل النغم حياً ، يعلو آناً ، ويخفت آناً .. ويهزأ بالشمس .

هو — ليسترح لسانك الان .. هوذا النغم يحمل الى الاغوار دفء النعيم .. انه يغرق في الضلوع .. اني احسه بي على ضفة النفس .

هي — ليت لي منه ،

هو — الاجيال ودّت .. وتسمعين !.

هي — نسائم مقبلة تحمل اليّ طيباً ..

هو — يوم ارتواء .

هي — عجباً ، ايتكلم الطيب ؟.

هو — ينهل الطيب الذات .. ينهل ما لا يحدّه زمان ومكان .

هي — عراني النغم .. ليت الهزيع لا ينقضي ..

هو — تلاقينا في الرجع ، في الصدى ،

هي — في النجوى .

◆

ضباب في طريق الشروق — الشمس في الكوة

هي — من لآذار ، للربيـــع ، لليل ؟.

هو — عفو الجراح في اوراق الورد .

هي — اشلاء الماضي ..

هو — حدقي الان .. في مدى الزرقة ، في دروب الرواء ، طيفان .

هي — لم ار شيئاً ..

هو — عند شطّ الضياء .

هي — صغار في خيلائي .. لم ار شيئـــاً .. واراه الصباح يعتم في عيني ..

هو — والفراشات على كل اقحوانة تصلي للعبير .

هي — انت من انت ؟

هو — حفنة من تراب، واحلم ابداً بجمال وخير وخيال، بجمال ..

هي — بجمال معطاء ، بلحم يتضوّع رغبة ، بالهوى ، باللذة .. انت وحش واشتهيك ..

هو — جدّفت على النغم ..

هي — ربيعك ذيل ردائي هذا .. انظر .. وما دون الرداء ..

هو — انا في ذهول ..

هي — ملتهب الطرف طبعاً .

هو — ان دمعة حمراء ارجو ان تدركها الشمس .. اخشى سقوطها اذا اسرفت ..

هي — وطيوف ترف في الافق .. حدق ..

هو — عند شط الضياء ،

هي — عبر الضياء .

هو — لم ار شيئاً !..

هي — حدق الان .. في مدى الزرقة ، في دروب الرواء ، طيفان .

هو — النغم .. طيفان .. قالها الطيب لنا .

هي — طيفان حدّق .

هو — في حلل الضباب ،

هي — خضيبان بالرؤى العذراء ..

هو — من هما ؟

هي — نحن ..

هو — ليت لي منك ،

هي — والاجيال ودّت .

هو — يوم ارتواء ..

هي — نحن غريقا نغم ،

هو — نغم فرد ،

هي — لن تطفئه الشمس ،

هو — ليكن رجعه افترار الضباب عن اسنان الضياء !.

صلاح الاسير

الحكيم شهاب الدين السهروردي

سامي الكيالي

صاحب مجلة الحديث

◆

بلحصن دار البريـد بحلب ، حجرة صغيرة تضم رفات مفكر اسلامي حر ، اشتغل بالفقه وراض نفسه على التصوف ، نظم الشعر ، وحاول السحر ، امـلى في الفلسفة ودّون في العـلم ، طوّف في البلدان وهو شاب في ريعان العمر ، وما زال حتى قذفت به الاقدار الى حلب فاندمج بالبيئات العلمية ، يناظر فقهاءها ويجادل علماءهـا فيبزّهم ويتفوق عليهم تفوقاً اثار حفيظتهم فكادوا له ودسوا عليه ، وما زالوا يكيدون ويدسون حتى امر السلطان بهدر دمه فذهب ضحية الوشاية والحسد وسوء الخلق — هذا المفكر الاسلامي الحر الذي يثوي في غرفة باردة لا ترى النـور هو يحيي بن حبش السهروردي صاحب القصيدة المتداولة في اروقة الصوفيين والتي مطلعها :

ابداً تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح

فما قصة هذا العالم الشهيد ؟ وفي عهد من من الملوك عاش ؟ وما هي الحياة السياسية في عهده؟ وما لون الآراء والعقائد في زمنه؟ هذا ما نريد ان نبحثه في مقالنا هذا :

*

الذين عرفوا ، في تاريخ العقلية الاسلامية ، بالسهروردي اكثر من مفكر واحـد ، وجميعهم اشتهر بالفضل والعلم والادب ، ولكن الذي يعنينا من هذا البحث ، السهروردي الذي قتـل في حلب لاتهامه بالتعطيل والزندقة بعد ان سجل الفقهاء وثيقة كفره .

ولا شك ان حياته تتميز بما تتميز به قصص شهداء الفكر ، فهو ذكي حاد الذكاء ، وهو عالم مفكر ، وهو حر النزعة كفيلسوف متصوف ، وهو شاعر دقيق الشاعرية ، ازدرى النـاس وازدرى العلماء والامراء والملوك وقنـع بكفاف العيش ، ازدرى نفسه كانسان ، فلم يهتم لما يهتم له الناس من مظـاهر ، فكان زري الثيـاب ، زري الهيئة على قول من ارخوا له . نعم ، لم يكن يهتم الا بشؤون الفكر وقضـايا النفس — وهذه ثمة سمة ظاهرة للمفكرين العلماء بل المتصوفين الذين يعروهم الذهول في كثير من الحالات فينسون انفسهم ولا يهتمون للمظـاهر العرضية بقدر اهتمامهم بما هم مشغولون به من جواهر الامور وحقائقها العليا . وهكذا كان السهروردي ، فقد اتفق جميع من ارخ له الى وصفه بهذه الصفات البارزة .

ولن نسهب في هـذه الاستطرادات التي ستأتي في صُلب قِصته ، فحسبنا هـذه التوطئة لندخل صميم الموضوع ، مؤرخين حياته كما اوردهـا ابن خِلّكان ، وابن شداد ، والذهبي ، والآمدي ، والحنبلي وغيرهم ممن كتبوا عنه كياقوت الرومي الذي يترجمه بالفقرات الآتية :

« شهاب الدين ابو الفتوح السهروردي ، كان فقيهاً ، شافعي المذهب ، اصولياً ، اديبـاً ، شاعراً ، حكيماً ، متفنناً ، نظّاراً لم يناظره مناظر الا خصمه وافحمه ، قرأ بالمراغة على الشيخ الامام مجد الدين الجيلي ، الفقيه الاصولي المتكلم ، ولازمه مدة ، ثم تنقل في البلاد على قدم التجرد ، ولقي بماردين الشيخ فخر الدين المارديني وصحبه ، وكان يثني عليه كثيراً ، ويقول لم ار في زمـاني احداً مثله ، ولكني اخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه ، ثم رحل ابو الفتوح الى حلب فدخلها في زمن الظاهر غـازي بن ايوب سنة ٥٧٩ هـ ونزل في المدرسة الحلاوية وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين ، وبحث مع الفقهاء من تلاميذه وغيرهم ، وناظرهم في عدة مسائل فلم يجـاره احد منهم وظهر عليهم ، وظهر فضله للشيخ افتخـار الدين فقرب مجلسه وادناه ، وعرف مكانه في الناس ، ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه .

وفي النجوم الزاهرة « ان السهروردي كان يعاني علوم الاوائل والمنطق ، والسيمياء ، وابواب النيرنجيات ، فاستمال بذلك خلقاً كثيراً ، وتبعوه ، وله تصانيف في هذه العلوم . »

وقال ابو العباس احمد ابن ابي اصيبعة الخزرجي الحكيم في كتابه « طبقات الاطباء » : كان السهروردي اوحد اهل زمانه في العلوم الحِكَمية ، جامعاً للعلوم الفلسفية ، بارعـاً في الاصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، وكان علمه اكثر من عقله .

وقال ابن خلكان : « كان السهروردي من علماء عصره ،

قرأ الحكمة واصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلي بمدينة المراغة من اعمال اذربيجان الى ان برع فيهما ، وهذا مجدالدين الجيلي هو شيخ فخر الدين الرازي وعليه تخرج وبصحبته انتفع ، وكان اماماً في فنونه » .

وفي العبر : « السهروردي احد اذكياء بني آدم ، كان رأساً في معرفة علوم الاوائل ، بارعاً في علوم الكلام ، مناظراً محجاجاً ، متزهداً مزدرياً للعلماء ، مستهزئاً ، رقيق الدين » .

هذه هي آراء معاصريه ومن اليهم من المؤرخين .فماذا نخرج من هذه النصوص ؟ نخرج منها بنتيجة واضحة، وهي ان جل العلماء قد اتفقوا على الالماع الى فرط ذكائه ، وقوة علمه ، وعلى انه قوي الحجة ، ذرب اللسان في مناظرته ، وانه من افذاذ عصره الموهوبين في العلم والفقه والحكمة والفلسفة .

قدم حلب ،في عهد الملك الظاهر ابي منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين الايوبي . وحلب اذ ذاك ، تغص بالعلماء والفقهاء ، وبافاضل الرجال من مختلف الطبقات ، وكانت الى هذا في مصطرع من المذاهب والتيارات الدينية والسياسية . كانت تعيش في حياة قلقة مضطربة ، فقد اشتبك الغرب مع الشرق في حروب دينية دامية في هذه الاصقاع التي تمتد من مصر الى بيت المقدس ، الى اقصى حدود سوريا الشمالية .. واية حروب ؟ حروب كر وافناء .. فحروب العقائد لا تقل في عنفها ، رغم اختلاف وسائل

مشهد البرج الشرقي لقلعة حلب



القتال ، عن بقية الحروب ، انها تستهدف الدفاع عن الدين والدفاع عن ارض الوطن معاً . وكلاهما حافز قوي لان يثير نيران القتال بشدة ويدفع المحاربين للقتال بعنف وهوس وجنون . وبديهي في هذه الحالة ان تكون الفكرة الدينية هي التي تطبع ذلك العصر بطابعها .

لست هنا في معرض وصف الحروب الصليبية وقد كتب حولها عشرات المجلدات ومئاتها في مختلف اللغات ولكني اردت وانا اتكلم عن السهروردي الفيلسوف الحكيم الذي ذهب ضحية معتقده وتفكيره الحر — ان ألمع الى طابع العصر حيث له اثره القوي في توجيه النفوس نحو الفكرة التي يعيش في صميمها الكاتب الاديب او العالم الفيلسوف . فأنت لا تستطيع ان تتكلم عن الحرية في عصور الاستبداد ، ولا عن الديموقراطية في عهود الديكتاتوريات ، وهذا الذي يعرّض الفكر والحرية ويعرّض المفكرين الاحرار الى العنت والظلم والاسى والاضطهاد . وهذا الذي حفز الفقهاء — وطابع العصر على ما هو عليه من اللون الديني القاتم — ان يستغلوا هذا الشعور الهائج فيصوّروا السهروردي، المفكر بانه من المجدفين على الله ، المنكرين لنبوة رسوله انتقاماً لشهوات انفسهم بعد ان افحمهم بردوده وجعلهم انصاف علماء او في حكم الجهلاء .

كانت حلب كأكثر المدن الاسلامية ، تجتاز هذه الفترة من الحياة العقلية والسياسية في عهد الايوبيين ، وكان صلاح الدين هو سيد هذه المناطق التي تمتد من اقصى مصر الى اقصى حلب ، وكان لا بد له وقد انتهى من حروبه او كاد ، من ان يوطد ملكه في الاطراف ، فما دخلت سنة ٥٨٢ هـ حتى كانت فكرة تقسيم البلاد بين آله وابنائه قد اختمرت في ذهنه فأعطى مصر لولده العزيز عثمان ، والشام لولده الافضل وحلب لولده الظاهر ، وأعطى اخاه العادل ابا بكر اقطاعات كثيرة بمصر . فلماذا خص ولده الظاهر بحلب ؟

يذكر المؤرخون ان صلاح الدين كان يحب ابنه الظاهر حباً جماً ، ومع ان عدد ابنائه سبعة عشر بينهم ابنة واحدة فقد كان الظاهر احبهم اليه لما فيه من الخلال الحسنة .. فهل كانت حلب اثمن مدينة في الرقعة الاسلامية حتى اهداها الى احب اولاده اليه ؟

لذلك قصة طويلة لا بأس من الالماع اليها طالما انتقلنا من الحديث عن السهروردي الى الملك الظاهر .

في النجوم الزاهرة : ان علم الدين سليمان بن جندر احد امراء حلب قال لصلاح الدين — وكانت بينهما مؤانسة — : بأي رأي كنت تظن ان وصيتك تنفذ ! — يشير بهذا الى وصيته بتقسيم البلاد بين آله وابنائه — كأنك كنت خارجاً الى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك ! اما تستحي ان يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة ؟

قال صلاح الدين : وكيف ذلك ؟ وهو يضحك . قال : اذا اراد الطائر ان يعمل عشاً لفراخه قصد الى اعالي الشجر ليحمي فراخه ، وانت سلّمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الارض . هذه حلب — وهي ام البلاد — بيد اخيك — وكانت بيد الملك العادل — وحماة بيد ابن اخيك ، وحمص بيد ابن عمك اسد الدين وابنك الافضل مع تقي الدين يخرجه متى شاء ، وابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد . فقال له صلاح الدين صدقت ، فاكتم هذا الامر . ثم اخذ حلب من اخيه العادل وأعادها الى ابنه الملك الظاهر ، وأعطى العادل بعد ذلك حرّان والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ، وفرق الشام على اولاده ، فكان ما كان ، وزوّج صلاح الدين ولده الملك الظاهر بغازية خاتون ابنة اخيه الملك العادل المذكور .

وكان يرى صلاح الدين — كما يقول القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد : ان حلب هي اصل الملك وجرثومته وقاعدته وهذا الذي جعله يختار لها احب اولاده اليه .

اتراه اعتبر مدينة حلب ، الواقعة في منتهى التخوم الاسلامية ، تخوم مملكته — اصل الملك وجرثومته وقاعدته فاختار لها احب ابنائه اليه ؟

وقد نشأ الملك الظاهر الذي ولد بالقاهرة سنة ثمان وستين وخمسمائة نشأة ابيه ، فكان ملكاً مهيباً وله سياسة وفطنة ودولة معمورة بالعلماء والامراء والفضلاء ، وكان محسناً للرعية والوافدين عليه ، حضر معظم غزوات والده ، وكان في دولته من الامراء ميمون القصري ، والقارز بن يوسف ، وسنقر الحلبي وغيرهم من الصلاحية . ومن ارباب العمائم القاضي بهاء الدين بن شداد والشريف الافتخاري الهاشمي والشريف النسابة والقيسراني وبنو الخشاب وغيرهم . وكان ملجأ للغرباء وكهفاً للفقراء ، يزور الصالحين ويتفقدهم ، ودام على ذلك الى ان توفي ليلة الثلاثاء في العشرين من جمادي الآخرة بعلة الذرب ، ودفن بقلعة حلب ثم نقل بعد ذلك الى مدرسته التي انشأها .

تميزت حياة السلطان الظاهر بهذه الخصائص وبكثير غيرها ،

وكثيراً ما انجد صاحب حمص حين هوجم من الافرنج فانقذه وطرد اعداءه حتى طرابلس ، كما قضى على اعمال النهب التي كان يقوم بها في اطراف حلب ابن لاون — او ليون الارمني — على رواية البعض .

وبينما كان اخوه الافضل صاحب دمشق منغمساً باللعب واللهو كان الظاهر مثال الرزانة والسداد والحزم ، مقتفياً اثر والده في الحدب على الرعية وصون مملكته سيما وقد كان يعلم ان اقل نكسة تكون لانهيار الملك وضياع التراث الضخم الذي اعاد بناءه صلاح الدين . فقد كان الاعداء على الابواب يتحفزون لأقل بادرة بل كانوا يترقبون اقل فرصة للانقضاض واسترجاع هذه البلاد التي صبغت جوانبها بالنجيع الاحمر وذهبت في سبيلها مهج النفوس .

حياة الظاهر هذه التي تميزت بأنبل الخصائص ، وكانت دولته معمورة بالعلماء واولي الفضل قد شاءت الاقدار ان تلطخ بتلك الوصمة التي قضت بهدر نفس بريئة — نفس عالم شاب من اذكى العلماء وارفع الحكماء قدراً . ولا نسترسل بتاريخ حياة الظاهر اكثر من هذا ، فحسبنا منها هذه اللمحة السريعة لتنير جانباً من حياة السهروردي ، واظن ان في وسعنا بعد ان جلونا العصر الذي عاش فيه بعض الجلاء — ان نلم بسيرة السهروردي كمفكر ، واحب ان اعتقد ان القارىء الكريم في شوق الى قراءة قصته وسيرته اكثر من سيرة صاحب حلب ولكن ارتباط تاريخهما برباط وثيق من جهة وكون مأساة مصرعه قد مثلت في عهد السلطان الظاهر من جهة اخرى هو الذي جعلنا ان نلم بتاريخه هذه الالمامة السريعة .. ولنعد الان الى السهروردي المفكر ، والى مناظرته فقهاء حلب ، وكيف اهاجوا الخواطر عليه وألبوا الرأي العام ضده ، وكيف شكوا امره الى السلطان وأردفوا الشكوى بوثيقة كفره . وكيف امر السلطان صلاح الدين بهدر دمه ، ثم كيف نفذ الظاهر الحكم ؟ وكيف ندم بعد قتله على فعلته فأنزل بطشه بالمحرضين وانتقم منهم ابشع انتقام ؟

*

كان الامام شهاب الدين يعيش في بلده « سهرورد » لا يعنى الا بما يشغل المفكرين عادة من الغوص على المذاهب يناقشها مناقشة الباحث المفكر ، والعالم المجتهد . وكأني به قد ضاق ببلده فنزح الى اقرب المدن الاسلامية التي تخفق عليها رايات صلاح الدين . نعم ، جاء السهروردي الى حلب بعد ان استفاضت انباء ملكها الظاهر وطرقت انتصارات ابيه مسمعه وهو في بلده « سهرورد » وسهرورد بلدة في العراق العجمي ، قريبة من زنجان من اعمال اذربيجان ، واذا علمنا ان السلطان صلاح الدين من « دوين » وهي قرية من اعمال اذربيجان ادركنا الصلة التي تربطه بهذه الاسرة التي مثلت اكبر دور في تاريخ الاسلام السياسي في القرن السادس الهجري .

فهما من منطقة واحدة ، وهو كعالم مفكر يفيض قلبه بالحكمة والايمان كان اكثر زهواً واشد سروراً من غيره لهذه الانباء . وقد اجتذبته هذه البقاع العربية التي كانت اوسع مسرح للحروب العنيفة التي اثارها الافرنج على صلاح الدين . نعم ، اجتذبته هذه البقاع بعد ان ضاقت به بيئته او ضاق بموطنه ، فشد الرحال الى سورية بعد ان اخذ بقسط وافر من العلوم الاسلامية والعلوم الفلسفية . انتقل من بلد الى بلد ومن منطقة الى اخرى يجتمع بعلمائها ويأخذ عن حكمائها وما زال حتى وصل حلب يحمل في وفاضه الحكمة والعلم والمعرفة ، وما ذاع نبأ وصوله حتى التف حوله العلماء يناقشونه في شتى فروع العلم ، وكأنما شهرته قد سبقته قبل ان تطأ قدماه ارض الشهباء .. وخيل اليه انه رحل الى بيئة تنعم بحرية اكثر مما تنعم بها بيئته — الى موطن الفكر ليبدع في التفكير الاسلامي اراء ومذاهب جديدة ، وليكتب ويؤلف اكثر مما كتبه والفه ، فقد بلغت مؤلفاته وهو شاب ، اكثر من ثمانية كتب ، وكأنه كان يشعر انه لم يكتب شيئاً ، وان حياته العقلية ستبدأ بعد هذه الفترة من سني الشباب ولكن امانيه يا للاسف ذهبت بدداً .

لقد دخل حلب في عام ٥٧٩ هـ ، واذا علمنا ان ولادته كانت سنة ٥٤٩ هـ ادركنا اي فذ هذا الشاب الذي بز العلماء وفاق عليهم وهو في الثلاثين من عمره — اي في هذه السن المبكرة من النبوغ — لقد كان فقيهاً وكان فيلسوفاً ، وكان زاهداً ، وكان اكثر من هذا .. فما هذا العبقري الموهوب الذي هابته ائمة العلماء حتى خافت على عقيدة الملك وعقائد الناس فطلبت الحكم عليه بالقتل ؟ لا شك انه ذو مواهب فذة وانه لم يكن معطلاً ولا ملحداً ولا زنديقاً بالحد الذي صوروه بل كان متصوفاً قد ازدرى البشر وجاهر بالحقائق العليا التي يدين بها كفيلسوف وكمفكر وكمتصوف معاً . وهذا الذي جعل انصاف العلماء ينسبون اليه الزندقة والتعطيل .

*

لقد ذكرنا فيما تقدم ان السهروردي نزل المدرسة الحلاوية وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين وبحث معه الفقهاء من

تلاميذه وغيرهم . وناظر جميعهم في عدة مسائل فلم يجاره احد منهم ، بل ظهر عليهم وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه وادناه ، وعرف مكانه في الناس ، ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه . فماذا نفهم من هذا النص ؟ نفهم ان شيخ المدرسة الحلاوية كان على جانب كبير من الدراية والعلم فقد عرف فضل هذا الشاب الغريب وما ينطوي عليه صدره من علم ، وما يتميز به من ادب وحكمة وفلسفة فادناه من مجلسه وسرعان ما نقل امره الى السلطان فاحب ان يعرفه ، ولكن السهروردي لم يكن في هذا المظهر الذي يليق به ان يقابل به الملوك والوزراء . فقد وصفه المؤرخون وصفاً زرياً منكراً . كان على حد قولهم : زري الخلقة ، دنس الثياب ، وسخ البدن ، لا يغسل له ثوباً ولا جسماً ولا يداً ، ولا يقص ظفراً ولا شعراً ، ولم يكتفوا بان حماوه كل هذه الاقذار الدنيوية بل زادوا عليها بقولهم : وكان القمل يتناثر على وجهه ، ويسعى على ثيابه وكل من يراه يهرب منه . وما اظن انه كان في هذه الحالة الزرية وهو على ما هو عليه من سمو الحكمة وفرط الذكاء . نعم ، ربما تغلبت صوفيته على مظهره وهندامه ، ويبدو لي ان خصومه قد صوروه بهذه الصورة الكريهة البشعة ليحولوا بينه وبين السلطان . ولكننا وقد عرفنا بعض الشيء عن خصائص الملك الظاهر وميله الى العلماء والحكماء مهما كان مظهرهم نستطيع ان نجزم بانه لم يلتفت الى اقوال بطانته وحاسديه بل اخذ برأي الشيخ افتخار الدين فاستقبله في قصره ورحب به اجمل ترحيب وما كاد يفيض السهروردي بالحديث حتى لمح فيه سمو الحكمة واشراق الذهن « فقربه واقبل عليه وتخصص به » كما يقول المؤرخون مما ادى الى ازدياد غيظ المناظرين عليه ورميه بالالحاد والزندقة ولكن صاحبه لم يلتفت الى دسائسهم ولا الى حيلهم ومؤامرتهم لانه تحدث اليه في ادق الشؤون العقلية والدينية فعرف صفاء عقيدته ونقاء طويته فازداد عطفه عليه واحسانه اليه مما جعل حاسديه يزدادون غيظاً وتثور ثائرتهم عليه وعلى الملك معاً .

كيف العمل وقد اصبح هذا الزنديق الدخيل صفي السلطان ؟ تساءل الفقهاء هذا السؤال فيما بينهم ؟ ثم قر رأيهم ان لا بد من مكيدة تودي بحياته ويا ويل العلم اذا تألبت عليه جموع الجهل .

ويالمصيبة الفكر اذا تآمر عليه الجامدون .

ويالمصرع الحرية اذا حوربت بجبروت الطغاة المستبدين .

وقد تنادى فقهاء حلب للقضاء على السهروردي العالم المفكر الحر .

ولا شك انهم خطبوا على المنابر ، واثاروا ثائرة الجمهور ، واستفزوا شعوره الديني ، اي استفزوا ادق ناحية حساسة عنده .. نعم تنادى فقهاء حلب لانقاذ الدين من زنديق متمرد على الدين — هكذا صوروه للناس — وبهذا الشعور العام راجعوا السلطان في امره .. ولكن الملك الظاهر بعد ان عرفه وعرف رأيه في الدين وفي الخالق لم يلتفت الى خزعبلاتهم ولا الى دسائسهم .. وكأني به قد اعتز ان يكون بين علماء مملكته امثال هذا الحكيم الفيلسوف الشاب .. فازداد عطفاً عليه وحباً له وآثره على الكثيرين من المقربين اليه ولما اعيت الفقهاء الحيلة وايقنوا ان صاحب حلب لم يصغ اليهم لجأوا الى ابيه يستفزون عاطفته الدينية . وسيرة صلاح الدين مشهورة بالورع والتقى وببغضه كتب الفلاسفة وارباب المنطق وكل من يعاند الشريعة ، ويا ويل من يجسر ان يعاند الشريعة . والسهروردي فيلسوف ، وحكيم ومن رجالات المنطق ، وقد صوروه من معاندي الشريعة ، ويا ويل من يعاند الشريعة او يثير نزعات الحادية في ذلك العصر الذي يتميز بالطابع الديني القاتم .. ان اقل جزاء له الاعدام . نعم ، لما باءت جهود الفقهاء عند صاحب حلب بالفشل كتبوا الى ابيه محذرين ابنه من فساد عقيدته . قالوا : ان صحبته — اي صحبة الملك الظاهر — للسهروردي لم تقتصر على فساد عقيدته بل ستفسد عقائد الناس ..

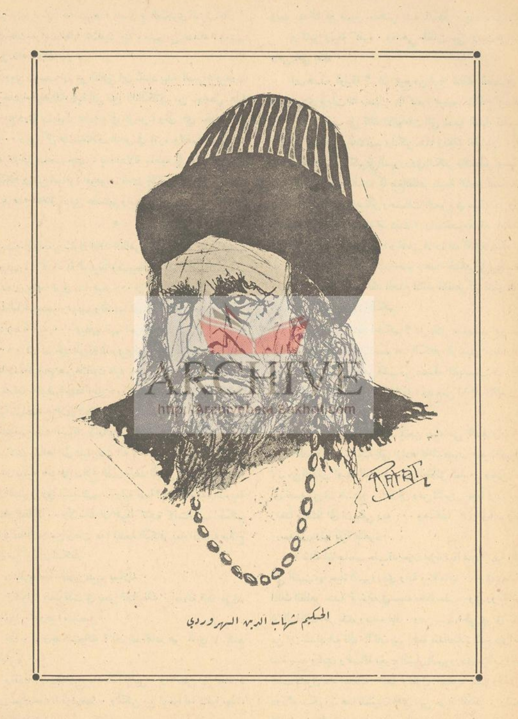
فما هذا البلاء الذي صبه الله على حلب بنزول هذا الزنديق المعطل ارضها ؟

بذلك صرح الفقهاء .. ومما جاء في رسالتهم الى صلاح الدين هذه الجملة المثمرة :

« ادرك ولدك والا تتلف عقيدته » ... فما كان من صلاح الدين الا ان كتب الى ابنه بابعاده عنه اي بنفيه ولكن الملك الظاهر ، وهو عليم باسرار هذه المأساة التي اجادوا تمثيلها ، لم ينفذ امر ابيه ، فلم يبعده ، وبقي في حلب ، يحيط به الشباب ويحنو عليه الملك ، وكأنه قد خلق في حلب حزبين : حزباً يؤيده وحزباً يناوئه .

كان الشباب وعلى رأسهم الملك الظاهر من انصاره وكان الشيوخ وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين من خصومه فلمن كانت الغلبة ؟

انقسم الناس قسمين حول هذا الرجل ، قسم معه وقسم عليه وهذا ما رواه القاضي بن شداد ، وهو ثقة في هذا الموضوع لانه



الحكيم شهاب الدين السهروردي

عاصر الرجل وشهد مأساة هذا الصراع الفكري العنيف قال : اقمت بحلب فرأيت اهلها مختلفين فيه ، منهم من يصدقه ، ومنهم من يزندقه ، والله اعلم .

ومن المؤسف ان يمر القاضي ابن شداد بهذا الصراع ويدون مثل هذه الحقيقة التاريخية التي تنير لنا الكثير من غوامض هذا الصراع دون ان يقول لنا رأيه في الرجل ، والى اي جانب كان يميل .. وعلى كل فان اختلاف الناس في امره وانقسامهم فريقين ثم حمايته من صاحب حلب ، يدلنا دلالة ساطعة على ان السهروردي كالكثيرين من العباقرة الموهوبين الذين يختلف الناس في امرهم ، ويعتبر هذا الخلاف دليل عظمتهم ونبوغهم .

*

ضج العلماء من سلوك الملك الظاهر وتحيزه للرجل الذي كشف عن جهلهم ، وكان اكثرهم غيظاً وضجيجاً ، واشدهم نقمة الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا حميد ... فما كان منهما الا ان اثارا ثائرة العلماء فجمعوا جموعهم وتقدموا الى الظاهر يطلبون بالحاح انفاذ وصية ابيه ... ويظهر انهم احرجوه عند ابيه وعند العامة معاً .. ورأى ان خير طريقة للخروج من هذا الاحراج ان يعقد مجلساً للمناظرة فيما هم مختلفون عليه ، واستمهلهم ان يكتب الى ابيه بذلك ، فرضوا بهذا الحل ، وكتب الى ابيه ، ولا شك انهم كتبوا الى صلاح الدين ايضاً ، ومن المؤسف ان لا تحفظ لنا كتب التاريخ نص هذه الرسائل لانها وثائق ثمينة في حرية الفكر .

كتب الظاهر الى ابيه يقول انه لا بد من مجلس يعقد للمناظرة قبل ان ينفيه ، فوافق صلاح الدين وعقد المجلس واحتشد العلماء ، وكان السهروردي اشبه بمتهم .. واية تهمة ؟ تهمة معاندة الشريعة وافساد العقائد .. ولا شك ان جموعاً كثيرة كانت ترقب الحكم عليه لينقذ الدين من نزعات هذا الملحد الكافر بعد ان صانه صلاح الدين من نزعات الكفار .

وناظره العلماء فظهر عليهم بعبارته .

« قالوا : انك قلت في بعض تصانيفك : ان الله قادر على ان يخلق نبياً .. وهذا مستحيل .

قال : ما وجه استحالته ؟ فان الله القادر هو الذي لا يمتنع عليه شيء .. »

وتقف كتب التاريخ عند هذا النص . وما نظن ان المناظرة دارت حول هذه الفقرة فقط . ولكن من ارخوا له اكتفوا بهذا ، وهي كافية لان يدينوه وهكذا ... فقد تداولوا فيما بينهم ، وبعد جدال غير طويل حكموا عليه بالكفر وجردوه من الايمان!

وكتبوا وثيقة كفره . وما هي لحظات حتى اذيعت على الناس وهي تفتي بقتله .

اين هذه الوثيقة ؟ ان جميع من ارخ للملك الظاهر او للسهروردي لم يأت لنا بنصها . واكتفوا جميعهم بالالماع اليها . وكنا نود ان نقف على تلك الاتهامات التي صاغها الفقهاء تطميناً لشهوات حسدهم وخذلانهم ولكن مالنا ولتلك الحيثيات . فقد نجحت المؤامرة وحكم على السهروردي بالكفر والتعطيل ، وحكم عليه بالموت ، وبلغه ذلك ، كما بلغ الظاهر نتيجة انتصار العلماء عليه ، ولا شك ان الظاهر قد تأثر وجالت الدموع في عيونه ، وايقن الفيلسوف الشاب ان منيته قد دنت ، وان خصومه قد انتصروا عليه بدسائسهم لا بحججهم . وشاءت ارادة الله الذي لا يمتنع عليه شيء حتى خلق النبوات ان يكون مصرع هذا الحكيم على من اصطفاه وفضله على الكثيرين . فقد انصاع الملك الظاهر الى فتوى العلماء وصدرت ارادته بتنفيذ الحكم .

ولكن كيف ينفذ الحكم ؟ هل يقتل ام يصلب ام يسلم الى عباد الله المؤمنين يقطعون جسم هذا الكافر الزنديق ارباً ارباً ؟. يخيل الينا ان الملك الظاهر طلب من صديقه الفيلسوف ان يختار ميتته فطلب ان يحبس في مكان ما ، ويمنع من الاكل والشرب الى ان يموت .

وكأنما اراد السهروردي ان يمتحن نفسه على الصبر وان يحقق نزعاته الصوفية بهذه الميتة التي ارادها له المتنطعون . فحياة الصوفيين لون من العذاب او هو الفناء في سبيل الحقائق العليا . وليس احب الى نفسه من ان يمتنع عن الاكل وعن الشرب اياماً وان يعيش زاهداً متقشفاً الى ان يلقى ربه ... وهكذا كان الى ان فاضت روحه الى بارئها نقية طاهرة .

لا شك ان صاحب حلب قد حزن حزناً عميقاً لهذه النهاية المحزنة التي انتهت بها حياة السهروردي واية ميتة ماتها ... في رواية ان الملك الظاهر حبسه ثم خنقه في سجنه بقلعة حلب . وفي رواية اخرى ان السلطان امر بقتله وصلبه اياماً . وعن سبط الجوزي في تاريخه عن ابن شداد انه قال : لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخرج الشهاب السهروردي ميتاً من الحبس بحلب فتفرق عنه اصحابه . «نعم ، تفرق اصحابه عنه وقبعوا في دورهم ينكرون هذا الطغيان الذي مس حرية الفكر ، وانتصر القدماء على المحدثين ، او قل انتصر الشيوخ على الشباب .. ولا شك

ان كثيراً من اشياع السهروردي قد بكوه بدموع غزار ورثوه بقصائد تفيض بالحرقة والانين .. ولكن اين تلك القصائد الصادقة ؟

لقد ذهبت كما ذهب السهروردي ولم يجسر احد ان يدونها او يحتفظ بها .

وكان الملك الظاهر في طليعة من بكاه فقد ندم على فعلته وحقد كثيراً على من جروه الى هذا المأزق الحرج الذي اودى بحياة شاب من انبه الشباب واذكاهم فكراً ودراية وعلماً وتجرداً عن الدنيويات ، وشعر بالفراغ الكبير الذي تركه مصرع هذا الفيلسوف الحكيم .. لقد ندم الملك ولكن ما عساه يفعل انتقاماً لذكرى فيلسوف حكيم ؟ يقول المؤرخون انه نقم على جميع من افتوا بقتله فقبض عليهم ونكبهم وصادر جماعة منهم باموال عظيمة .. فهل ارضى بفعلته هذه انصار السهروردي ومريديه ؟. ربما .. ولكن هيهات ان يكون انتقم للفكر بعمله هذا، وستظل ميتة السهروردي لطخة سوداء في تاريخ الظاهر الايوبي على ما امتاز به حكمه من حسنات .

*

قبل ان ننهي مقالنا عن عالمنا الفيلسوف الشاب نريد ان نتساءل هل الدسائس التي تأخذ صبغة الدفاع عن قداسة الدين قادرة على اطفاء شعلة الفكر ؟ لقد مر ثمانمائة سنة على مصرع السهروردي ولكن ذكره في عالم الفكر لا يزال حياً . ان غير واحد من المفكرين المسلمين قد واجهوا في عصور التاريخ مثل هذه الدسائس والمؤامرات التي اصطبغت بصبغة الدفاع عن قدسية الدين ، فاذا ذكرنا السهروردي فيجب ان لا ننسى النسيمي ، الذي يضم رفاته تراب حلب ايضاً . فان قصة مصرعه لا تقل في بشاعتها عن مصرع السهروردي . فهذا العالم المتصوف الذي يرقد في الزاوية النسيمية بالقرب من دار بلدية حلب كان كثير الجدل مع فقهاء زمنه ، وكثيراً ما كتبوا سورة من سور القرآن في ورقة ورشوا من يخيط النعال ان يدسها في اطباق النعل ، موهمينه انها ورقة محبة وقبول ، فانصاع لهم الرجل، ووضع الورقة وفق طلبهم، وما ان سلمها لهم حتى اخذوا ذلك النعل واهدوه الى الشيخ من طريق بعيدة ، فلبسه ، وهو لا يشعر بالكيد الذي دبر له لانه مشغول عن ذلك بما هو اسمى ، ثم طلعوا لنائب حلب وقالوا له : قد بلغنا من طريق صحيحة ان النسيمي كتب « قل هو الله احد » وجعلها في اطباق نعله ، وان لم تصدقنا ارسل وراءه وانظر ذلك ، ففعل ، فاستخرجوا الورقة وادرك الشيخ الحيلة التي لجأ اليها خصومه ، عندئذ سلم امره لله تعالى ولم يجب عن نفسه ، وعلم انه لا بد ان يقتل ، وكان الامر كما تصوره .

قال الشعراني : واخبرني بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشيء موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت ، وكان ينظر الى الذين يسلخونه وهو يبتسم .

وما لاقاه السهروردي والنسيمي قد لاقاه كثير من المفكرين بوشايات زملائهم من العلماء .

فقد نفي ابو زيد البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها .

وأخرجوا سهل بن عبدالله التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح ، وكفروه مع امامته وجلالته .

وشهدوا على الجنيد بالكفر مراراً حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤوس الاشهاد فصار يقرره في عقر بيته الى ان مات .

وشهدوا على الشبلي بالكفر مراراً مع تمام عقله وكثرة مجاهداته وادخله اصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة .

واخرجوا ابا بكر النابلسي مع فضله واستقامته في طريقته من المغرب الى مصر ، وشهدوا عليه بالزندقة عند السلطان فأمر بسلخه منكوساً فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا يفتنون به .

ورموا ابا مدين بالزندقة واخرجوه من بجاية الى تلمسان .

واخرجوا ابا الحسن الشاذلي من مصر وشهدوا عليه بالزندقة .

ورموا عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلساً في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه .

ورموا تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر والفاحشة ، وانه يلبس في الليل الغيار والزنار . واتوا به مغلولا مقيداً من الشام الى مصر وخرج جمال الدين الاسيوني فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه .

وهناك كثيرون اغفلنا الالماع الى ذكرهم لان هذا لا يدخل في بحثنا الذي نريد ان نختمه بالالماع الى تراث السهروردي الفكري وما تركه من رسائل وكتب . بل مررنا بذكر اولئك الشهداء مروراً سريعاً لعلاقة ذلك بقصة من ذهب ضحية الدسائس والمؤامرات في سبيل الحقائق العليا وقداسة التفكير الحر .

ترك السهروردي مؤلفات ورسائل متعددة ، ومع انه لم يصل لهذه السن التي تمكنه من التأليف وكتابة آرائه الحكيمة وميوله الفلسفية كما كتبها غيره من الحكماء والفلاسفة فقد ذكر له المؤرخون عدة رسائل وكتب في اغراض شتى ، ولولا مصرعه وهو شاب ، لكان ترك للاجيال تراثاً فكرياً ضخماً . ومع ذلك ، فان وفرة كتبه الكثيرة المنازع تدل على مواهبه الفذة . فمن مؤلفاته : التلويحات في الحكمة ، والتنقيحات في اصول الفقه ، وحكمة الاشراق ، والغربة الغريبة ، وهياكل النور ، والالواح العمادية ، والمعارج ، واللمحة ، والمطارحات ، والمقامات وغيرها وغيرها .

فأين تلك الكتب ؟ لم يطبع منها غير هياكل النور وهو كتاب يضم مباحث قصيرة في تعريف الجسم والصورة ، وفي جوهر النفس وتجردها وقواها واشارة الى ضلال الماديين والرد عليهم وما هنالك من فروق بين الروح الحيواني والروح الانساني ، ثم ردود صريحة على من يتوهم ان النفس هي الباري او جزء منه ، وبحث عن وحدانية الواجب وازلية العالم وغيرذلك من الاراء التي ختمها بفصل عن النبوات . والاراء بمجموعها هي صدى للفكرات التي عالجها غير واحد من مفكري العرب وفلاسفة المسلمين ، وليس موضوعنا مناقشة ما جاء في هذه الرسالة بل ألمعنا اليها لأنها الاثر الوحيد الذي وصل الينا من مؤلفاته ، اذ من الصعب جداً ان نتخذ رسالة صغيرة من مؤلفاته اساساً للبحث دون ان نقف على اكثر كتبه .. فأين هي ؟ هل هي في الخزانات ام في المكاتب العامة ؟ وهل يطلع علينا مستشرق او باحث بنشر كتاب من كتبه ام ان خصومه وقد ظفروا بهدر دمه قد احرقوا رسائله ؟

لا ندري .. على ان ما رشح الينا من كلماته يدل على انه عانى الفلسفة وكتب فيها المطولات فرسالة « الغربة الغريبة » مثلاً .. كتبها على نسق رسالة الطير لابي علي بن سينا ورسالة حي بن يقظان ، وفيها على ما يذكر المؤرخون ، بلاغة تامة اشار فيها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء . فمن كلماته مثلاً :

« نواحي القدس ، دار لا يطؤها القوم الجاهلون .

« وحد الله ، وانت بتعظيمه ملآن واذكره وانت من ملابس الاكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان وأبى النظام ان يكون غير ما كان .

« اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف . »

وهو في هذا الاتجاه يذهب مذهب الاشراقيين من حكماء الاسلام ومتصوفيهم ، وهو منهم في الطليعة ومن الصعب ان نأخذ كلمة من كلماته اساساً لبحث ارائه في الفلسفة والاشراق والتصوف وله فيها المصنفات — ولم نقصد من بحثنا هذا ان نكتب دراسة واسعة عن السهروردي بقدر رغبتنا بتدوين هذه الخطوط السريعة من حياته المليئة بالاحداث .

واذا وقفنا عند هذا الحد من الاشارة الى مؤلفاته ، ما بقي منها وما اندثر ، فحسبنا ان نختم مقالنا بالالماع الى قصيدته « الحائية » التي بقيت كوثيقة توضح لنا نفسية هذا الصوفي العاشق والتي تدل كل كلمة من كلماتها الى معنى من تصوفه وروحانيته .

ابداً تحن اليكم الارواح … ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم … والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا … ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم … وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم … عند الوشاة المدمع السحاح
وبدت شواهد السقام عليهم … فيها لمشكل امرهم ايضاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم … للصب في خفض الجناح جناح
فالى لقاكم نفسه مشتاقة … والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل في غسق الجفا … فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له فقلوبهم … في نورها المشكاة والمصباح
فتمتعوا والوقت طاب بقربهم … راق الشراب ورقت الاقداح
ياصاح ليس على المحب ملامة … ان لاح في افق الوصال صباح
لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى … كتمانهم ، فنمى الغرام ، فباحوا
سمحوا بانفسهم وما بخلوا بها … لما دروا ان السماح رباح
ودعاهم داعي الحقائق دعوة … فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم … بحر وحادي شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه … حتى دعوا واتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم … ابداً فكل زمانهم افراح
حضروا فغابوا عن شهود ذواتهم … وتهتكوا لما راوه وصاحوا
افناهم عنهم وقد كشفت لهم … حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم … ان التشبه بالكرام فلاح
قم يا نديم الى المدام وهاتها … فبحانها قد دارت الاقداح
من كرم اكرام بدنّ ديانة … لا خمرة قد داسها الفلاح

ونجزم ان للسهروردي ديواناً فقد كما فقدت مؤلفاته ، لان من يكون له هذا النفس العالي في الشعر لا بد ان يكون له اكثر

من قصيدة واحدة ، وكتب الادب لا تحفظ لنا غير هذه القصيدة وبعض مقطوعات تفيض بالرقة واللوعة والحنين ، في قصيدة النفس التي جاري فيها (عينية) ابن سينا الوان زاخرة من الحرمان والشوق .

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى	وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها	ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها	رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا
فكأنما برق تألق بالحمى	ثم انطوى فكأنه ما ابرقا

وفي قصيدته الرائية حيث يبتعد عن البشر ويأنس بوحدته الوان زاخرة بالتشائم والسأم .

اقول لجارتي والدمع جاري	ولي عزم الرحيل عن الديار
ذريني ان اسير ولا تنوحي	فان الشهب اشرفها السواري
واني في الظلام رأيت ضوءاً	كأن الليل بدل بالنهار
الى كم اجعل الحيات صحبي	الى كم اجعل التنين جاري
وارضى بالاقامة في فلاة	وفي ظلم العناصر اين داري
ويبدو لي من الزوراء برق	يذكرني بها قرب المزار
اذا ابصرت ذاك النور افنى	فما ادري يميني من يساري

نعم ، ان من يكون له هذا الشعر لا بد ان يكون له اكثر من قصيدة واحدة وهي تفسر نزعاته كصوفي متجرد ينشد الحقائق العليا ـ هذه الحقائق التي قادته الى الهلاك على يد فئة من من الحشويين رأوا في هدر دمه ارواء لشهوات دسائسهم . . وكم من مفكر ذهب ضحية الدس والجهل والتآمر – جهل الدساسين وتآمر المتنطعين . وفي قصة مصرعه عبرة واي عبرة وصورة واضحة مما لاقته حرية الفكر في القرن السادس الهجري من عنت وارهاب ـ نتيجة هذا الصراع الذي قام بين الفقهاء والمتصوفة . وهو صراع يرجع الى فجر القرن الرابع حين مر علم الكلام الاسلامي او علم العقائد في اهم ادوار حياته – وهو دور تحرره من الفقه . ونحن نعلم ان التشاد كان قوياً في ذلك العصر بين الصوفيين والفقهاء ، وكثيراً ما عبر الصوفيون عن احتقارهم لعلم الفقه الذي يسمونه علم الدنيا ، ورأينا الامام الغزالي في القرن الخامس يجاهر امام جمهور المسلمين بان علم الفقه علم دنيوي لاديني وما زالت هذه الآراء في جذب ودفع بين الفقهاء والصوفيين الى ان كانت الغلبة للفقهاء في القرن السادس – وطابع العصر طابع ديني كما اسلفنا . فكان ضحية هذا التنطع الحكيم شهاب الدين السهروردي الذي قضى شهيد الفكر وهو في ريعان العمر ، فخسرت الفلسفة الاسلامية مفكراً فذاً من اعظم مفكريها الشباب(1)

سامي كيالي – حلب

(1) اعتمد الكاتب في بحثه هذا على المصادر الاتية : النجوم الزاهرة ، معجم الادباء ، النوادر السلطانية ، تاريخ حلب لابن الشحنة ، تاريخ حلب للغزي ، التصوف الاسلامي لزكي مبارك .

الشعر

الى سعيد عقل

◆

في كوّة الفجر نشيدٌ عميقْ
يفلّه التقليد منـذ القدمْ
نام على نايٍ خضيب النغم
في جنةٍ انهارهـا من بريق

زنابق الليـل وعته خيـالْ
مُشربةٌ زرقته بالصورْ
وحلّ من الرمز حسّ الجمال
وعتّقت فيه خمورُ الفكر...

يضوع منه الشجوُ، والمبخره
تُحب فيـه اغنياتِ الرياحْ
والفرحُ المعبودُ رقص الملاح
في منظرٍ اغوارُه مزهره.

في كوّة الفجر ضياءٌ أسيرْ
ناداك ياروحي، فهيّا نسير
فأنتِ في أجواهُ صحو الاثير

كمال فوزي — مصياف

ربيع امرأة

محمد حاج حسين
ليسانسيه آداب من جامعة فؤاد الاول

◆

كل شيء تغير في منزل سميح فايد ، المزارع الكبير . فنظام الاسرة الماضي ، طوحت به امرأة جديدة ، حسناء ، كالضحوة الساطعة ، ولجت البيت ، واحتلت به المقام الاول ، فاصبحت قرينة سميح فايد ، تأمر وتنهي وتفعل ما تريد .

هصرت المنون ، ربة البيت السابقة ، في الاربعين من عمرها ، وهي لا تزال تحتفظ بنضرة الشباب ، وروقة الجمال ، فبكاها اولادها بدموع مستفيضة ، فبذهابها ، قد خسروا الحنان الذي كانت تغدقه عليهم ، وذلك الحب الكبير الذي كانت تنفحهم به .

ولم يكن تأثر زوجها باقل من جزع اولاده ، فحرقته لاذعة في الصميم ، وكم كان يتمنى لو يستطيع افتداءها بالغالي ، لتظل دوماً بقربه ، ترقه العطف وتجاذبه المودة .

واجتاح الاسرة ، ذلك الفراغ العميق ، الذي يصيب الانسان عندما ترزأه الحياة وتفجعه المنية بعزيز ، ففي الاماسي يلتئم شمل الاسرة الممزقة ، يتحدثون بالم عن الفقيدة ، ويستعيدون الغابر السعيد ، يجوسون خلاله حيث كانت المرحومة ، تملأ الدنيا زهواً وحياة ، وتتوقد بنشاط والمعية ، حولت البيت الى مأوى يعج به النعيم . وخلفت بعدها ، طفلتين تلذعهما مرارة اليتم الكاوية ، وشاب ينهد الى العشرين ، فارع القامة وضاء الملامح ، اصاب حظاً من الثقافة العامة ، لا بأس به ، واخذ يساعد والده في ادارة املاكهم الواسعة بهمة الشباب الوثاب وكد العامل المجد ، فكان نهبة الانظار ترمقه بالثناء والاحترام .

ولم تقدح الرزية احداً مثل ما فدحت به ولدها عدنان : فامه المرحومة كانت اكثر من امه ، يلجأ اليها ، ليفضي لها باشجانه ، ويبثها همومه ، فتمسح عليها ، بيدها الطاهرة ، وتملأه ثقة بالمستقبل والحياة ، فقد خسر فيها الام ، والرفيقة الصديقة ، والاخاء المتين .

كان سميح فايد ، في الخامسة والثلاثين ، عند ما تزوج امرأته المتوفاة ، التي كانت في فجر عمرها ، تمتاز بخصال حميدة ، وجمال ساحر ، واحبتها جوارحه ، فهي العزاء اذا عز العزاء : غير ان الدهر ابى عليه النعمة الرضية التي يستمتع بها ، فماتت ارملته فجأة ، فان السكتة القلبية اخمدت انفاسها ، وصعدت روحها الى مقرها الابدي ، لتذر التعاسة تطل برأسها الكليح ، على بنيها وزوجها . .

ومضت اشهر ثلاثة على وفاتها ، عند ما سرى نبأ في المدينة ان المزارع الكبير سميح فايد ، سيتزوج قريباً ، ومع انه في حدود الستين ، تزوج ، كأن امرأته وذكرياتها لم تكن . .

واحتلت فاطمة الصافي ، مكان الزوجة المتوفاة ، ورضيت بسميح فايد زوجاً لها ، رغم هوة السن الهائلة ، التي تفغر فاها ، بينهما ، هازئة ، مقهقهة .

خطبها المزارع الكبير من ابيها ، فوافق فوراً دون ان يستشيرها في الامر ، وشفتاه تتلمظ للاحلام المشعشعة ، والتي داعبته ، لهذه الثروة الضخمة ، التي ستنعم بها ابنته . .

ولما حدثت فاطمة في الامر ، وافقت ، وتراقصت الاماني الحسان امامها : ستتخلص من حياة الفقر ، الذي يقص جناحيها ، وستسكن القصر الضخم ، وستركب السيارة الفارهة ، فتتفتح امامها الدنيا تبتسم . . وتغمز بعينيها تدعوها الى مائدتها الحافلة بالمتع . .

لم تر في زواجها ، غير هذه الناحية الضاحكة ، ولم تترام الا لهذه الوجهة المستبشرة . اما زوجها ، الكهل المهدوم ، واولاده فلم يخطروا في بالها ، ففي اعماقها ظمأ الى الحياة الرفيهة ، والعيش الخضيل ، ووجدت في زوجها ما ينقع غلها الى الترف ، الذي حرمت منه ، ولقد وهبها الله جمالا خلوباً ، يصبي المشاعر ويحرك رواقد الاحاسيس ، فبشرتها البيضاء ، الرقراقة ، وشعرها الاشقر الفينان يتدلى بفوضى حبيبة ، على جبهتها ، وتانك العينان الزرقاوان ، كغيمة زرقاء ، تائهة في السماء ، كل شيء فيها يغزو ويصرخ بالفتنة انها في الخامسة والعشرين من عمرها الغض ، تغفو على الاماني ، وتنام على المستقبل الريان ، حين خطبها الثري الكبير سميح فايد . .

واحس عدنان بلون من الامتعاض ، لفعلة ابيه هذه ، ولكنه كظم ما في نفسه على مضض فان الغريبة التي ستحتل مكان امه تترعه اشمئزازاً ونفوراً . . . ولكن القدر لا يؤاتي كل انسان وفق ما يروم . ومضت ايام واعقبتها ايام واصبحت فاطمة الصافي ربة البيت السيدة المطلقة تنفذ رغباتها . بدقة فزوجها الكهل رأى فيها الواحة المليئة التي يتفيأ ظلها الظليل . . فاحبها وتدله بهواها .

ويبدو على فاطمة لون من الذهول لم ينشب ان تحول الى كآبة خرساء ، وحزن صامت : واحست بذلك الشوق الذي لا ينطفيء الى

المجهول الذي حرمته ... فعدنان كان مل. نظرها ينحدر الى قلبها المحروم وروحها الحبيسة .

وذات يوم ، ذهبت الى غرفته ، وكان يقرأ فاستقبلها وعبوسة طفيفة تزوي ما بين عينيه ، فلم يعودها ان يختلط بها ، فهو يفر منها كأنها شبح مروع خنق والدته .. جلست على مقعد ، برشاقة وبدت في ثوبها الابيض ، كدفقة نور ، ورنت الى عدنان بشوق ، فاذا به كما عهدته دائماً ذلك الشاب العبل الذراعين ، القوي البنية الطافح بالحياة .. وتشقق الحديث ، يهيم في كل واد . واخيراً قالت فاطمة : خدعت في زواجي .. فرفع عدنان حاجبيه بدهشة وقال : ماذا تعنين ؟

— كنت احسب ان المال يوفر السعادة ، فاذا به سراب خداع ..

— انت التي اخترت نصيبك ..

— صحيح .. ان الحرمان الذي كنت اكابد غصصه ، زين لي ان قوام السعادة في الحياة : المال وملاكها : الترف ..

ومرت فترة صمت ، فيها ابلغ التعبير عما يحسه كل منهما للآخر .. وحدق عدنان نظراته فيها ، فألفى في عينيها ، ظلاً قاتماً فيه اغبرار .. ويأس .. فرقّ لها ، وتلك الثورة التي تجتاحه من جراء حنقه عليها ، همدت بعض الشيء ، فرأى بها الضحية ..

واستطردت فاطمة تقول بعد ان تنهدت : ابوك اخطأ في زواجه ، انه في خريف العمر ، فكان عليه ان ينتظر الشتاء ، يدرجه في كفن الموت .. ولكنه تزوج من الربيع ، وهل الخريف والربيع يتلاقيان ؟

— خفضي عنك .. فوالدي يهيأ لك كل بلهنية في الحياة ..

وهزت رأسها ساخرة : اكاد اجن .. ان اعصابي تتوقد وترهف وتستبد بي هزات عصبية ، تهلكني ..

— يجب ان تعملي جهدك لتزجي الهناءة لوالدي .. فواجبك يدعوك الى هذا ..

— وواجب ابيك ، ان يعزف عن الزواج .. ولو زوجك انت يا عدنان ، واستمتع باطفالك ..

— ولكني لا اريد الزواج ..

ولم تسمع جوابه ، فأغمضت عينيها ، متلذذة بالخيال الحلو الذي طاف في رأسها الموقر . فلو تزوجها عدنان ، لكان الربيع زف الى الربيع ، ولأصبحت سعادتها حديث الناس .. ما اجمل عدنان واقواه ، وسحنته توحي اليها اجمل الرؤى واعذب الالحان . ونهضت متثاقلة ، تودعه ، فشيعها بنظراته التي كانت تحرقها ، وتقيمها وتقعدها ..

ولما آوت الى حجرتها ، بكت وتناثرت دموعها ترطب وجهها المحموم .. وكلما تراخت المدة ، واخذ الزمن يدور في عجلته ، تزداد فاطمة كآبة ووجمة .. وتحتدم اعصابها ، تتفزز لاقل حادثة ، حتى ان زوجها لاحظ عليها عصبيتها وحزنها ، فطفق ينشد لها انواع اللذائذ ، ولكنها ترى فيها الاتهام القاسي ، الذي يقرعها ، بجفوة متحدية .. ولا تزيدها الا اواراً واشتعالاً وكان عزاؤها الوحيد في هذه الحياة الخاطمة ، عدنان ابن زوجها ، الشاب اليقظ الجياش بالحياة .. وصحت عزيمتها على شيء ، ترددت فيه اولاً ، ثم ماعتم ان استقر وتركز حتى اضحى لديهـا ، حقاً لها ، تبغيه وتعمل على تحقيقه ، والا عرتها لوثة ، ادت بها الى الجنة ، تطرح بشبابها ، وتئد حياتها .. وهبت نسائم الخريف ناعشة ، تلامس اعضاءها ، فمشت فيها نشوة ، وكان البيت مقفراً من كل انسان ، فزوجها ذهب الى القرية ، والطفلتان بنات زوجها ، في المدرسة ، والخدم صرفتهم لامور .. كان البيت خالياً ، ولا يضطرب فيه الاها وعدنان ، املها الذي تغفو على هدهدته .. ومشت بخطى واهلة ، بطيئة حذرة ، حتى انسابت الى غرفتـه ، فهرع اليها يستقبلها بمجاملة يتكلفها احتراماً لابيه ..

وخيم السكون المزعج ، الذي يسبق هبوب العاصفة ..

ورشقت فاطمة المرآة بنظرة سريعة ، فاطمأنت لجمالها الذي قنعه شحوب ، اضفى عليه فتنة رائعة ..

وقالت فجأة : عدنان .. احبك ..

واجاب عدنان باقتضاب : اشكرك ..

فذهنه لم ير في حبها جريمة ، فاعتقد لاول وهلة انه ذلك الحب البري، النابع من الامومة .. اما هي ، فاطمأنت الى جوابه ، ورأت فيه مقدمة معبدة ، لغايتها التي تهدف اليها ..

وبحركة لا شعورية ، نهضت من مقعدها ، حتى لاصقتـه ، وهبت انفاسه تحرقها ، فما استطاعت الا الانصياع لخفقة قلبها التي تهيب بها الى ضم املها .. وحياتها .. وافاق عدنان ذاهلاً لا يصدق كأن غشية كانت عليه ، وفرك عينيه ، ولكن السائل الناري ، لا يزال عالقاً مترجرجاً على شفتيه .. وتجلت له الحقيقة الوخازة .. لقد تجرأت وقبلته ، وهو لا يدري كيف اجترحت هذه الفعلة .. وانتقذه من ذهله صوت فاطمة المنتشي يقول : عدنان .. احبك .. وتراءى له الان نوع هذا الحب الآثم الذي تدعيه ، فكاد يتميز غيظاً ، وتنزّا الدم حاراً يوتر عروقه بلهجة داوية : ماذا فعلت ايتها الافعوان ؟

— احبك يا عدنان .. هيا بنا نسكر من مائدة الهوى ..

— ايتها الافعى ، يجب ان اسحق رأسك ..

— عدنان احبك .. ارحمني ..

— اخرجي من هنا ..

واشار الى الباب ، وهو يرعش ، وتصطك ركبتاه ، ولكنها لم تتزحزح من مكانها .. وخفق صوتها حزيناً يقول : الا اروقك ياعدنان .. ان جمالي شهي داني القطوف . وصرخ عدنان : يا مجنونة ، انت امرأة والدي أأدنس عرض والدي، الذي احرص عليه اكثر من حياتي ؟.

— عدنان .. ارحمني ..

— اخرجي .. اخرجي ..

واستدارت على عقبيها ترميه بنظرات حمراء .. وخرجت ، حسيرة ذليلة ، لاتلوي على شيء. تجتاحها اعاصير ، وتتلاعب بها الارزاء.. ولكنها لم تيأس من تذليله واخضاعه لجمالها .. فراحت تتبرج وتبرز فتنتها الراقدة امامه وهي تأمل ان يستجيب لنداء الشباب، وخفق الجمال .. واخذت تهتبل الفرص لتحدثه عن غرامها .. ولكنه يحتقرها كحشرة قذرة ، ويراهـا جحيماً يتلظى ، ليحرقه ويدق حياته ، فكان يتجنبها ، ويتهرب من طريقها ، ولمـا هددها بسوء المصير ، وبفضحها عند ابيه ، اذا لم ترعو عن غيها ، اجتاحتها نقمة ثورة هائلة ، وتحول حبها اليائس ، الى رغبة في الانتقام من عدنان الذي داس كرامتها .. ستبلبل حياته ، وتترعها بالمآسي ، فالمرأة اذا انتقمت لا تعرف حداً لانتقامها وثورتها لعزتها الطعينة ، لاتعرف الا العنفوان .. واتت ، ذات مساء ، داكن العتمة ، الى زوجها ، تبكي ، فمال اليها ، يربت على كتفها ، يدللها، ويسائلها عن علة بكائها . ولكنها اعتصمت بالسكوت وانسالت دموعها دافقة .. كأنها في مأتم . وطبع سميح فايد قبلة كهلة على وجنتيها المنديتين بالدموع ، كانت كقبلة الموتى وقال : ماذا ينقصك يافطمة ، ايتهـا النور الذي ابصر به ؟ ألم اوفر لك كل لذائذ الدنيا ؟

وقالت اخيراً وهي تتصنع الهدوء : سأقول لك شيئاً فظيعاً ..

— قولي يافاطمة ..

— اخشى ان تنهد حياتك من جرائه .

— لا تخشي علي شيئاً .. كلي آذان صاغية .

— اؤثر ان ترسلني الى بيت والدي ..

— أمجنونة انت ، انى يطيب لي العيش بدونك .

والقت القنبلة : اذن خلصني من ولدك عدنان ..

— ماذا فعل ولدي عدنان ؟

— لقد راودني عن نفسي ..

وتطلع سميح فايد اليهـا مذعوراً ممروراً .. فالضربة سفعته فانكمشت هيئته ، وانقبضت سحنته ، وكاد يغشى عليه . أفلذته عدنان ، يفجعه باقدس شيء عنده ؟. وراح يجأر كنمر جريح .

وقال بصوت متهدج : فاطمة .. يا امرأتي الطاهرة .. سيرى المجرم مصيره .. ووثب بهمة الشباب حتى دخل غرفة ولده عدنان، ورفع هذا عينيه ، فوجد اباه في هيئة غير عادية ، تطفو على وجهه سحابة سوداء .. فدلته غريزته ، على حدوث امر جلل .

قال ابوه وهو يرتجف : ايها العاق اخرج من هذا البيت الكريم الذي ضمك وآواك ، حتى اشتد ساعدك ، حاولت ان تلوثه .. ايها المجرم ، اني العنك ، واستنزل عليك صواعق السماء ، فتنقض عليك فتمزقك . وبصق بوجهه ، وصوته يتهدج قائلاً : اغرب عن وجهي لن تطأ هذا المنزل مرة اخرى . أتحاول ان تذبح عرضي ؟ أتحدث امرأتي بالمنكر . وتهم نفسك بها . ايها القذر . اخرج . وانسالت من فمه اللعنات والتجديفات ، فقام عدنان ، متثـاقلاً ورمى اباه بنظرة يائسة وتمتم : الله يعلم انني بريء.. وانساب من البيت الذي رأى فيه مراتع حياته ، مهدود القوى . مضى على هـذا الحادث شهر ، عندما تناول عدنان رسالة رأى على غلافها خط ابيه ، وكان بعد ان طرده ابوه ، ذهب الى خالته في حلب .. وفض عـدنان الرسالة بيد راجفة وقرأ : « ولدي الاحب

« ارجع الى البيت الذي خرجت منه ، مجرماً ، وانت بريء طاهر الذيل . لقد غررت بي المجرمة ، حتى طردت احب الناس لدي .. وشاء الله ان لا تبقى هذه المأساة طويلاً فجلاها على حقيقتها .

« لقد عدت ذات يوم الى البيت في غير ميعاد عودتي ولما دخلت مخدع زوجتي فاطمة الصافي وجدتها في حالة مريبة مع قريب لها وخدثتني نفسي بشر مستطير فعزمت على الهاب رأسيهما بالنار .. ولكني تريثت لان هذه الحشرة الدنيئة لاتستحق الموت .. وطردتها من بيتي .. واجابتني بوقاحة انها تذهب سعيدة لتتزوج قريبها .. الذي تحبه ويحبها . وانها لجذلة قريرة بهذه النتيجة واخيراً قالت ان ضميرها وبخها وسمم حياتها على فعلتها معك .. اخبرتني انها هي التي همت بك .. ورفضت بإباء وشمم ..

« لننس الماضي البشع يا ولدي وعد الى البيت الذي ينتظرك بفارغ الصبر فان اختيك تسألان دوماً عنك وتبكيان لاجلك .

« وبانتظارك يا ولدي الحبيب اغفر لي هفوتي .. »

وصباح الغد كان عدنان يتهيأ للذهاب الى ابيه ..

محمد حاج حسين — طرطوس

الى المتسولة السمراء

لشارل بودلير

●

ابتها الغادة الشقراء، ذات الشعر الاحمر الضارب الى السمرة !،
انت ايتها التي تبين ارديتها الرثة من خلال ثقوبها الممزقة ،
وتظهر ان الفقر والجمال جزءان منك لا يتجزءان.

*

اما انا ، انا هذا الشاعر المتواضع المتأسف ، فان جمالك الفتى ، بنحوله وطراوته ،
وبنمش الصيف المنتشر بين ارجائه هنا وهناك ،
يبدو لي عذبا رائعاً .

*

ان احذيتك الخشبية تلج سبل الحظ والتعاسة والصدفة
وليس ثمة ملكة واحدة من ملكات الخيال القديم
مشت باحذيتها المخملية وشرائطها بنعض رشاقتك .

*

دعي البسة البلاط الفاخرة ذات البهاء تتدلى بطياتها وتكسراتها ذات الحفيف المستعذب حول قدميك
بدلا من هذه الاسمال والاطمار القصيرة الممزقة
وبدلا من هذه الجوارب البالية القديمة
تمنطقي بخنجر ذهبي
يلتمع امام اعين المتهتكين الذين يدعون الحكمة والعقل .

*

ودعي الاشرطة المحلولة باهمال تكشف لنا عن الكبرياء الساطعة في صدرك الابيض الناصع
الذي هو انقى وازهى بكثير من اية نجمة متألقة ،

*

ودعي ذراعيك البيضاوين تلتمعان عاريتين ،
تينك الذراعين المصقولتين الناعمتين اللتين هما في نظري شبه مقدستين ،

ودعي انامك الصغيرة
تبحث برشاقة هائمة —
عن انقى اللآلي، التي تشع بهدوء ،
واعذب القصائد التي نظمها « بيللو » ،
تلك التي يقدمها الشجعان قبل المعركة
من اجل سعادتك ،

*

وكثيرون من الشعراء المتملقين
الذين يكتبون اول كتاب صغير لهم من اجلك .
سوف يفكرون متأملين
في الخطوة التي تخطوها قدماك ،

*

وكثيرون من الغربان المولعين بلعب الورق ،
وعدد كبير من النبلاء والاشراف ،
سوف يرقبون سيرك ، ويتحرقون لعودتك ،

*

وسوف تعدين امام مرآتك قبلا اكثر مما تحصل عليها اجمل زهرة من زهرات السوسن ،
واكثر من راغب مجهول واحد سوف يتحسر عندما تمرين بالقرب منه .

*

لكنك الان ترحلين على الاقدام ،
وتحصلين على رزق عن طريق التسول والاستجداء ،
تجوبين في الشوارع الحقيرة والازقة الضيقة وتتقدمين من باب الى باب ، واذا ما سمعت صوت درهم يسقط في حانوت ،
وقفت مشدوهة بعينين متلهفتين مشتاقتين ،
وانا ، واأسفاه لا املك الا فلساً واحداً لاعطيك اياه .

*

اذن فاذهبي ، وانت لا تملكين حلياً ، ولا لؤلؤاً ، ولاماساً ، ولا عطوراً ثابتة، لا يزول شذاها .
اذهبي وانت لا تملكين غير رشاقتك العارية السريعة العطب .
ووجهك المحبوب الفتان .

صفاء خلوصي — بغداد

الصحافة في العاصمة البريطانية

كيف يساهم الصحفيون الاجانب في المجهود الحربي

معلوم انه ليس من السهولة في شيء الحصول على الاخبار حتى في زمن السلم فكيف في زمن الحرب . وقد يتساءل بعضنا في هذه الايام السوداء عن كيفية حصول الصحف الحليفة او صحف البلدان المحايدة على اخبار الاقطار الاخرى ولا سيما الاقطار الواقعة تحت السيطرة الالمانية .

في لندن هيئة مركزية للصحفيين الاجانب • وقد انشأ هؤلاء الصحفيون نقابة برئاسة جوتفرد كيلر الذي يعمل كمراسل لاحدى وكالات الانباء السويسرانية . والى جوتفرد كيلر يرجع الفضل في استقاء المعلومات التي سيطالعها القراء في هذا المقال .

يقول هذا المراسل ان جميع رجال الصحافة ومراسليها الاجانب في لندن سواء اكانوا من من الحلفاء او من المحايدين او من غير المحاربين هم اعضاء في هذه النقابة التي تأسست عام ١٨٨٨ ، ويبلغ عدد اعضائها — وهي في عامها الرابع والخمسين— نحواً من ١٤٢ يمثلون ستة وثلاثين قطراً مختلفاً . ومنذ ان فرضت هذه الحرب على العالم من جراء الاعتداءات الفاحشة النكراء فقد ثلثا هؤلاء الاعضاء — اي ما يقرب من نحو مئة عضو — بلادهم وصحفهم واعمالهم ، ولكنهم لا يتوانون في مواصلة جهودهم وتأدية اكبر خدمة ممكنة لأوطانهم وللقضية التي يناضل في سبيلها الحلفاء. اما المركز الرئيسي لهذه النقابة فهو وزارة الاستخبارات الانكليزية . ففي هذا المركز يتصل اعضاء النقابة بجميع الصحف المحلية والاسبوعية والمجلات الاخرى ، ولهم فيه مكتبة خاصة توافرت لهم فيها جميع المراجع اللازمة ، وجهاز للراديو وآلة خاصة لتسجيل الاخبار العالمية ، وغير ذلك مما يتوافر لمحرري الصحف في العالم.

لكن لما اعلنت الحرب واجه اولئك الصحفيون كثيراً من الصعوبات والمشاق في الحصول على مايسمهم من المعلومات •فالامر كان على جانب من السهولة قبل الحرب اذ لم يكن يحتاج مراسل الصحف الا الى رفع سماعة تلفونه ليتصل بصحيفته في القارة الاوربية ويملي عليها رسالته . بيد انه لما سقطت فرنسا توقفت عملية الاتصال التلفوني نهائياً ولم يبق للصحفيين الا طريقة الاتصال التلغرافي فكان ذلك سبباً في تأخير ورود الانباء .

على ان الجهود التي بذلها قسم المواصلات في وزارة الاستخبارات ساعد الى حد كبير على تلافي هذا التأخير • وفي جملة التسهيلات التي اوجدتها وزارة الاستخبارات تقديم البرقيات الخاصة على البرقيات الديبلوماسية العادية . ويؤثر عن اعضاء نقابة الصحفيين الاجانب في لندن انهم نالوا قسطهم من اهوال الغارات الجوية ، فقد ضربت منازل بعضهم بالقنابل وتهدم كثير منها ، ولكن نجت ملفات النقابة في المرة الاولى عندما ضربت دار الرئيس السابق لهذه النقابة ، وفي المرة الثانية عندما ضربت دار الرئيس الحالي . ومعلوم ان هذه الملفات تحفظ عادة في منزل الرئيس • ولقد لقي ثلاثة من اعضاء النقابة حتفهم ،الاول غرق في الباخرة «سيتي اوف بنارس» التي غرقت في المحيط الاطلنطيقي، والثاني وهو اسوجي قتل معزوجته من جراء اصابتها بقنابل العدو اصابة مباشرة ، والثالث توفي بسبب الغارات الجوية التي اثرت بجهازه العصبي . ويقول رئيس النقابة ان علاقة اعضاء النقابة بالمصالح الحكومية على احسن ما يرام كعلاقتهم بزملائهم البريطانيين وسائر الزملاء في انحاء الامبراطورية البريطانية .

ويضيف الى ذلك ان لدى مراسلي الصحف الاجانب جملة مصادر لاستيراد الاخبار بعضها رسمي وبعضها غير رسمي، فالنشرات الرسمية تصدرها جميع الوزارات وهي اما تتلى على الصحفيين الذين يعملون في حجرة الصحافة بدار وزارة الاستخبارات واما تسلم اليهم مطبوعة . وثمة اجتماعات تعقد لمصلحة رجال الصحافة اما في وزارة الاستخبارات او في وزارة البحرية او الاقتصاد .

وجه من وجوه لندن

وثمة ايضاً اجتماعات يعقدها المراسلون فيما بينهم للاستماع الى كلمات يلقيها بعض الزملاء عن اقطارهم او عن رحلات طريفة قاموا بها او عن غير ذلك من الشوءون . وهناك مصادر اخرى لاستقاء الاخبار كالبلاغات الرسمية الخاصة ، بالمناقشات البريطانية وغيرها . كما ان الصحافة البرلمانية نفسها تمثل دوراً هاماً جداً في المجهود الحربي الذي يساهم فيه الصحفيون الاجانب بقسط وافر .

ويري رئيس النقابة ان اهم مصادر استقاء الاخبار انما هو الاتصال الشخصي بالرجال الديبلوماسيين واعضاء البرلمان ورجال الحكومة من بريطانيين وحلفاء . ويسمى بعض اعضاء نقابة الصحفيين الاجانب بـ « رجال اخبار » وبعضهم بـ « رجال آراء وتعليقات » والفرق بين هوءلاء واولئك كبير فرجل الاخبار هو الصحافي البحاث الذي يتحرى الحقائق ويتصيد الاخبار وله ملكة خاصة في التقصي وهو بلا شك الممثل النموذجي لوكالة انباء يشعر



وهاكم ... وجهاً من وجوهها الحديثة

بغبطة كبيرة اذا تمكن من الحصول على خبر قبل كل شخص آخر ولو بخمس دقايق .

اما رجل « الآراء والتعليقات » فيختلف عنه اختلافاً بيناً ، فكل ما يهمه ان يكون لنفسه رأياً خاصاً في التطورات التي يمكن ان تصحب حالة سياسية او حربية معينة ، وذلك بعد مقارنته بين الحقايق والاخبار المختلفة ، وهو يلخص الموقف كل مساء قبل ان يأوي الى فراشه . ولكلا النوعين من رجال الصحافة أهمية ، وليس لاحدهما غنى عن الاخر . فرجل الاخبار يقوم بجمع الاخبار المختلفة بينما رجل الاراء يتولى ايضاح هذه الاخبار .

وصفوة القول ان الصحافة قوة هائلة ، ففي وسعها العمل على ترسيخ قدم الخدمات كما في وسعها العمل على اسقاطها ، ومساعدة الشعب على فهم الامور ،



الـ B. B. C. بلندن

واحياء القوة المعنوية في الجمهور ، وتثقيف القراء واجبار ولاة الشأن على القيام بامور معينة او عدم القيام بها ، وعلى الصحافة واجب هام لا بد لها من ادائه . وهذا الواجب تتضاعف اهميته في زمن الحرب .

قبلة

« هدية للقصيدة السوداء للشاعر امين نخلة »

عالمٌ بكر ، وألوانُ عذارى   يترائينَ على الهدبِ حيارى
زقّهن الحلمُ . اغواهنّ . فانسقن للحلم ، وهفهفن سكارى
وتعرّين   على   ضفّته ،   وتعرّى . وتطايرن ، وطارا
غمْن في رفرفه . في زرقة حلوة ، لمّت جناحيها اطارا
زورقٌ عبر الرؤى مستسلمٌ   غمس المجذاف في النور وسارا
هالةٌ . مبهمةٌ ، هائمة   عقد الطيب حواليها ومارا
تمّ الثغرُ فزافتْ . ودعا   فاستدارت في الحفافي ، واستدارا
هزّها فانسربتْ في حضنهِ   توقظُ الشهدَ ، وتغري الجلّنارا
دغدغتْ بُرعمَه ، فاستيقظ البرعمُ الاحمرُ . وانشقّ ، ونارا
مدّ للأحلامِ في نشوتِهِ   شفةً حيرى واشواقاً حيارى
قبلةٌ بكرٌ . قد التفّتْ على   شفةٍ بكرٍ ، واهدابٍ عذارى
شفقٌ ساجٍ . ولحنٌ ناعم   ايقظا في غفوةِ الليلِ النهارا

وصفي قرنفلي — حمص

اهداف الناحية الجسمية في التربية اللبنانية

لمنير النصولي
استاذ علم النفس والتربية بدار المعلمين الرسمية

ان اهتمام الامم منذ العهد القديم حتى يومنا هذا بالتربية البدنية، اهتماماً كلياً يجعل افرادها يزدادون قوة ونشاطاً من الناحية الجسمية، والخلقية والعقلية، يدفعنا للتفكير ملياً في مثل هذا الموضوع الجليل الذي ما زال مدار بحث الفلاسفة والعلماء. فمنهم من يتخذه واسطة في سبيل ادراك غاية، ومنهم من يقرر تأثيره في الفرد الكائن، وما ينتج عنه من مسببات في تكوين الهيئة الاجتماعية. فلقد كان قدماء اليونانيين يمرنون ابناءهم على العاب القوى حتى يصبح الفرد جديراً بان يكون مواطناً. فغاية التربيه البدنية عندهم تنحصر في تكوين افراد اشداء يعملون على اسعاد الامة. ولم ينظر الرومان وهم في اوج عظمتهم الى تلك الناحية المادية الا في سبيل خدمة فكرة روحية سامية، الى ان تبدل معنى السعادة في نظرهم، فانقلبت قيمهم الاجتماعية وتدهورت حضارتهم واذا بانحطاطهم الشامل يصبح في تاريخ الامم عبرة لمن يعتبر. فالعلماء في دراستهم لعلم وظائف الاعضاء، وعلم التشريح الانساني يتوخون من الرياضة البدنية تطبيقاً لقوانين علم الجسم، فبذلك يحافظون على صحة الاعضاء ونموها، حتى ان التربية البدنية اصبحت اداة يتوصل العالم بواسطتها الى مداواة الاعضاء في حال اعتلالها. واذا ما تكلمنا عن العلماء فلا بد ان نشير الى علماء النفس الذين يرجون عن طريق التربية البدنية تحسيناً في المنطقتين الخلقية والعقلية ويبتغون تكوين الفرد المثالي، المتناسق القوى في مواهبه. بينما يرى علماء الاجتماع في التربية البدنية وسيلة لتكييف الفرد حسبما يقتضيه المجتمع. فلو طاب لنا ان نستعرض بعض المذاهب في التربية البدنية لرأينا «يهن Yahn» يتخذ التربية البدنية سبيلاً لتكوين الرجل الجندي في جسمه وخلقه، بينما يحلم «لنج Ling» وهو مبتدع الطريقة السويدية في تكوين صحة جيدة تقوم على تناسق في نمو الاعضاء الجسمية وقد انشأ سنة ١٨١٤ معهداً في ستوكهولم، فلعب دوراً هاماً في عالم الرياضة وانتشرت طريقته في جميع انحاء العالم. وكانت سنة ١٨١٨ حينما اهتم «امروس Amoros» بتنظيم «الجمنستيكية» في فرنسا، فنظمها تنظيماً يستهدف تلك التربية السامية في تنمية الحواس والذكاء والخلق، وقد كان لبستالوزي وروسو الاثر البيّن في هذه الطريقة.

ثم عقبه (دمني Demny) مستنداً الى اسس علمية، فاستقى ما طاب له من اصول التربية السويدية والامورسية والعاب القوى، غير مكترث بذلك الهدف الذي نسعى اليه الا وهو اعداد النشء للحياة. ولقد كان لدلكروز Dalcroze في العصر ذاته شأن عظيم في الرياضة التوقيعية، فتتخذ الحركات شيئاً من رشاقة الرقص في مرافقتها للانغام الموسيقية. الى ان اتى مؤخراً «جورج هيبير Hébert» ينشر على العالم طريقته الطبيعية، فضم اليه اتباعاً كثيرين. وهذه الطريقة المثلى في نظر اتباعها تعد الانسان اعداداً جسمياً واجتماعياً في وقت واحد. فتربي في نفوس المتدربين الحسّ الاجتماعي الذي يدفعهم الى الالفة والمعاضدة، والاخلاص والتضحية. فهي لا تطلب منك ان تتمرّن فقط على حمل الاثقال، او على السباحة لمسافات طويلة، بل تريدك ان تتدرب ايضاً على نقل جريح، وانقاذ غريق، ففي نقل الجريح وانقاذ الغريق سرور لا يعادله اي سرور من الوجهة التعاونية. ان هذه الطريقة تدربك ايضاً على مجابهة الصعاب التي تعترض سبيلك في هذه الحياة. فهي تطابق في مبادئها ما تمشت عليه الكشفية، فكان لها صدى تجاوب في نفوس قادة الكشاف فاعتمدت هذه الطريقة رسمياً لتدريب الكشافين في جميع انحاء العالم. واما مدرسة «Des Roches» في باريس فهي منار يهتدي بها علماء التربية البدنية، ليطلعوا على محاسن هذه الطريقة، فيبشروا بها في الاوساط التربوية. ويعتقد الملازم الاول هيبر بان طريقته الطبيعية هي احسن طريقة وضعت لتكوين جسم صحيح متين وهو يستشهد بتلك القبائل المتوحشة التي نرى افرادها — وهم في حضن الطبيعة يقومون بتمارين عديدة، كتسلقهم الاشجار، وجريهم وراء الحيوانات وغير ذلك — يتمتعون بصحة جيدة، وباجسام قوية. بعد ان استعرضنا هذه الطرق العديدة التي لم تخل من انتقادات علمية، سواء أكان ذلك من الوجهة الفزيولوجية، ام من الوجهتين النفسية والاجتماعية، يجدر بنا ان نستعرض سريعاً الحركة الرياضية في لبنان، كيما نستفيد من خاصة هذه البيئة واستعداد مواطنينا فنضع هدفاً لهذه التربية الجسمية التي نحن بصددها. فلبنان، هذا الوطن العزيز، الخصب برجاله، قد لوحت حرارة شمسه بشرة شباب جباله ووهاده، سهوله، وهضابه، ففتلت منهم السواعد، واذا بهم في فسحة القرية يلتفون حول «جرن»

ويتبارون على رفعه ، فيفاخرون بما وهبتهم طبيعة لبنان من قوة البدن ، ولطالما كان لهم القدح المعلى في هذا المضمار اينما رحلوا واينما حلوا . لقد اشتهر المهاجر اللبناني في اميركا بقوة جسمه ، وتحمله الصعاب فكان ان ميزته هذه الصفات عن سواه ، فاذا هي مصدر ثروته .

واما الرياضة المنظمة عندنا فتنحصر في الرياضة المدرسية ورياضة النوادي . قامت المدارس الرسمية والخاصة تشجع الرياضة البدنية وتنشر لواءها في جميع انحاء لبنان ، والفضل في تدريب النشء على الطريقة السويدية يعود الى المدارس اللاتينية التي اظهرت مقدرة فائقة في ترتيب الحفلات الرياضية السنوية ، ترتيباً متناسقاً ، تتماوج فيه حركات الاعضاء بنظام ورشاقة . وكانت هذه المدارس من جهة اخرى تعتمد الطريقة الاوروسية فتمرن البعض من طلابها على الالعاب « الجمنستيكية » ، الى ان جاء مؤخراً الى هذه البلاد الاستاذ « روش » يحض على اتباع مبادىء « Hébert » بينما الجامعة الاميركية كانت وما زالت المركز الرئيسي لالعاب القوى فهي التي شجعت كلاً من الافراد على اظهار استعداده فاذا بابطال السباحة ، والجري ، والقفز ، والكرة يلمعون في مضمار يسر الناظرين . ولا بد لنا في هذه المناسبة من ان نشير الى كرة المضرب « التنس » التي لاقت اهتمام الجامعة الاميركية ايضاً فافسحت لها ، وراحت تعزز مكانتها لما هي عليه من فوائد جمة يجنيها الجنسان : الخشن واللطيف .

ولقد دعت الجامعة الاميركية الى اشراك المدارس في مباريات عامة تقوم على ملاعبها في كل سنة ، حباً في جعل الرابطة الاجتماعية وثيقة بين طلاب المدارس مهما كان لونها . واننا لن ننس مميزات لبناننا الطبيعية . ففي الشتاء ، عندما تعلو الثلوج تلك المرتفعات ، وترى المتزلجين منتثرين عليها يخيل اليك انك في الجبال السويسرية التي طالما تغنى بها الكثيرون . ان هذا النوع من الرياضة الشتوية غزت بلادنا فوجدت ارضاً خصبة ، فتألفت بعض النوادي واذا الهواة يتوافدون من كل حدب وصوب .

تجاه هذه الحركات العديدة ، التي تستقي من شتى المذاهب ، وترتدي طابعاً مختلف الالوان ، نرى لزاماً علينا ان نسعى الى توحيدها في سبيل هدف واحد الا وهو اعداد اللبناني المواطن الصالح للحياة . فالاستاذ كوفلنكو ، خريج اشهر جامعات اوروبا في الرياضة البدنية والقائم على الحركات الرياضية في بعض المدارس الخاصة عندنا منذ عدة سنوات ، يقول عن اختبار ، اننا نندفع في حقل الرياضة اندفاعاً هائلاً ، دون ان نهتم بالقواعد العلمية الصحيحة .

وهذا قد يؤدي بنا الى شذوذ مع انه يقتضي على الجماعة كما يقتضي على الفرد ، كيما تحافظ على كيانها ووحدتها ، ان تقاوم الاسباب التي من شأنها ان تشذ بالنوع وتؤدي به الى الهلاك .

فنحن في عصر تكتنفه متاعب المدنية ، فتتوتر الاعصاب وقد تنتهك ان لم يبادر الى اراحتها عن طريق الرياضة ، وذلك بالسيطرة عليها بواسطة ارادة قوية . فعلى الرياضة ان تستهدف تكوين ذلك الشخص المتناسق بقواه الجسمية والعقلية والخلقية .

فالاستاذ كوفلنكو من جهة اخرى ينتقد طريقة هيبر لانها تطلق الحرية الى المتدربين ، مع انه في ضبط الحركات ضبطاً فنياً نجد سيطرة داخلية تساعدنا مساعدة كلية على توجيه سلوكنا .

فاننا بعد ان عرضنا اهداف مذاهب كثيرة ، وبعض آراء الاساتذة يمكننا ان نجزم باننا بحاجة الى رياضة تتفق وطبيعتنا ، وقد يجدر بنا ان نتبصر فيما يقوله « سبنسر » .

«ان الشرط الاول للنجاح في هذه الحياة هو ان يكون الانسان حيواناً قوياً . وان الشرط الاول للسعادة القومية هو ان يكون القوم مؤلفاً من حيوانات قوية صالحة ، وكما ان الظفر في الحرب يرجع في الاغلب الى قوة الجند وشجاعتهم ، كذلك الفوز في النزاع الاقتصادي ايضاً يعزى الى تفوق المنتجين في قواهم البدنية » .

فالرياضة البدنية اذاً يجب ان تستهدف فكرة روحية سامية ، فعلى كل لبناني ان يسعى جهده في سبيل اسعاد مجتمعه .

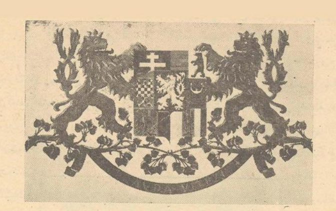
فاذا ما استهدفت بلوغ تلك الروح القومية اللبنانية ، عملت على ايجاد مواطنين اصحاء جديرين بقوميتهم ، في المصانع وفي الحقول تراهم يعملون بهمة ونشاط غير مبالين بالصعاب .

وهكذا تصبح الرياضة العامل الاكبر في مساعدة التوجيه المهني في المجتمع على ان لا تقع في الخطأ الذي وقع فيه بطرس يوماً في ان الاجدر بالنوتية ان يعتادوا شرب الماء المالح ، فاصدر امراً يقضي على تلامذة البحرية بان لا يشربوا غير ماء البحر ، فكانت نتيجة هذه التجربة موت التلامذة جميعهم ، لأن للاجسام قوانين خاصة بها ، يقتضي مراعاتها ، والا فيلحق بها الضرر .

فلنا ان نضع منهاجاً يوحد الانظمة الرياضية في جميع المدارس ، وتجعل الرياضيين خاضعين لامتحانات رسمية ، وان ندرب من يقوم على النوادي الاهلية تدريباً فنياً .

لقد قررت وزارة التربية الوطنية ان تعهد الى اخصائي قدير في هذا الموضوع ليقوم بوظيفة مفتش الرياضة ، فعسى ان يكون هذا فاتحة خير .

منير النصولي



القوى الروحية في تشيكوسلوفاكيا

كان عهد الملك كارلس الرابع ذهبياً في بوهيميا . وبوهيميا هي الدولة التي كانت نواة في الاجيال الوسطى وما قبلها للدولة الكبرى التي اسسها بنوها بعد الحرب العالمية الاولى ودعوها تشيكوسلوفاكيا . اما كارلس الرابع فجعل بوهيميا مركزاً عملياً للامبراطورية الرومانية المقدسة . وأوجد في التشيكيين شعوراً بعلو مقامهم في العالم لم ينسوه بعد ذلك قط . وكان المركز الذي احرزوه في السياسة والقوة العسكرية والثقافة والثروة المادية دافعاً لهم الى شعور جديد بما اجتمع لهم من المقدرة . فتهذبت اخلاقهم من نواح متعددة وتوفرت لهم مزايا وسجايا لا تولدها الا الحرية والطمأنينة .

ولما هبّت في فرنسا نار الثورة الفرنسية لم يلبث تأثيرها ان ظهر في تشيكوسلوفاكيا فأعلن شاعرها السلوفاكي جان كلر ان رسالة كل سلافي في هذه الحياة مؤسسة على ايمانه بالانسانية .

ولهذا قال : « كلما دعوت سلافياً وجب على احد ابناء الانسانية ان يلبي » . وكان الفيلسوف ليبيتز الالماني ينسب فضيلة خاصة الى جميع السلاف . والشاعر الالماني هرور يعتقد « ان العنصر السلافي انما وجد ليملأ العالم محبة حقيقية ويدرك مثال الحب الاعلى بين البشر على الارض » .



ردهة المكتبة الكبرى في جامعة شارلز في براغ

وجاء عهد نبوليون الاول . وهو عهد اختمار في جميع اوربا فأحيا في بوهيميا روح القومية الوطنية . لكنه احدث رد فعل شديداً في صدور ملوكها الهبسبرجيين ضد الحرية والمساواة التي اطلقتها الثورة الفرنسية من عقالها وسرحتها بين الناس فزالت الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة ١٨٠٤ وحلت الامبراطورية النمسوية محلها . وأدمجت تشيكوسلوفاكيا . فيها . لكن جهود التشيك لحمل الحكومة الملكية على الاعتراف بقوميتهم لم تمت . اجل انها كانت ادبية في مظهرها .

فلم تتعد المنشورات والكتب . فاعاد الاستاذ بالاكي وغيره من اعلام الكتاب الى التشيك رغبتهم في درس تاريخهم المجيد . وجعلوا للغتهم قيمة عملية مستقلة . ونشأ رجال من الطبقتين الوسطى والسفلى تطوعوا لخدمة الثقافة وصاروا رسلاً للعلم يبثونه مجاناً في جميع المدن والقرى . على ان آمالهم اصطدمت بثورة عام ١٨٤٨ وتحطمت . ثم نشبت الحرب بين النمسويين والبروسيين فانهزم الاولون وهبت كل العناصر الخاضعة لحكم النمسا تطلب الاعتراف لانفسها بما لها من حقوق . هكذا صرح المجر والسلاف والتشيك والكروات والبولنديون . لكنهم لم يتفقوا مابينهم بل كان كل عنصر يطلب لنفسه احتياجاتها غير مبال بالآخرين . ولذلك امكن الحكام النمسويين ان يظلوا قابضين على اعناق الجميع . وذابت تلك العناصر ظاهراً في ما دعي من ذلك الحين امبراطورية النمسا وهنغاريا .

على ان التشيك لم يتخلوا عن ميدان الجهاد . وكانوا يرون في السلوفاك دائماً لعوناً لهم في مطالبهم الادبية . وظل نواب الفريقين في مجلس الريخسرات يستخدمون نفوذهم السياسي لاحراز امتيازات لشعبهم المزدوج بطريقة دستورية . وكان نفوذهم السياسي يتزايد بالقوة الاقتصادية النامية في بلادهم بين سكان بوهيميا ومورافيا . فقد كان الفلاحون منهم يعالجون الاراضي الخصيبة ويستغلون خيراتها الزراعية . واندفعت الطبقة الوسطى التشيكية القوية في ميادين التجارة والصناعة والمالية .

وقد عرفوا جيداً اثر الثقافة العامة في حياة الشعوب . فانشأوا المدارس في كل مكان وجعلوها سلالم موصلة الى جامعة براغ الشهيرة التي كانت تعد من افضل جامعات اوربا ، كما هي من اقدمها عهداً وامجدها تاريخاً . وهي الجامعة التي كيّفت الخلق التشيكوسلوفاكي واحسنت توجيه الروح القومية الهادئة المطمئنة . وجعلت هذا الشعب المقيم في قلب اوربا يجتنب الاشواك والادغال التي تخبطت في آجامها الشعوب المحيطة به من كل جانب . وظل على بكرة ابيه ديموقراطياً حراً رغم الادوار المختلفة التي تقلبت عليه . وجاهد ابناؤه في الحرب العالمية جهاد المستميت حتى نالوا من الحلفاء تأييداً لاستقلالهم الذي اعلنوه بانفسهم قبل انهيار المانيا والنمسا باسبوعين . وحفظوه نقياً من كل وصمة خلال العشرين عاماً التي قاسى فيها جيرانهم ضروب الويلات والمحن .

*

اجل ان حكم النازي في المانيا غدر بهم واعتدى فجأة عليهم .

لكن كل دارس للتاريخ يرى هذه النكبة على حرية تشيكوسلوفاكيا سحابة صيف لا بد ان تنقشع . لان الحرية الراقية المتأصلة في اعماق عروق هذه الامة النبيلة لا يمكن ان تؤثر فيها العوامل الهتلرية السطحية ولا تمس جوهرها بسوء .

ان النار تصهر الذهب لكنها لا تذيبه بل تزيده لمعاناً .

ا . غ .

تمثال ديانا وبسيشي وهو قائم في احد اروقة جامعة شارلز

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

موسكو في ٢٦ ايلول – عاد المستر وندل ويلكي من زيارته لمناطق القتال ، وقد اشاد بعظمة الدفاع في مختلف الميادين الروسية التي زارها .

لندن ٢٦ – تم احتلال تاناناريف عاصمة مدغسكر من قبل القوات البريطانية .

القاهرة ٢٧ – ينتظر وصول الدكتور اورا مورجان رئيس القسم الاقتصادي في جامعة كولومبيا لدراسة الوسائل التي تساعد على زيادة الانتاج في البلدان العربية .

انقرة ٢٨ – ارسلت جمعية الهلال الاحمر التركي الف طن من الدقيق الى الشعب اليوناني الذي يعاني آلام الجوع ، وتفيد انباء اليونان ان حالة الطعام فيها ما تزال خطيرة .

مكة المكرمة ٢٨ – اعلن رسمياً ان جلالة الملك عبد العزيز آل السعود امر بانشاء مطاعم شعبية في جميع انحاء المملكة العربية السعودية على ان تكون هذه المؤسسات دائمة طول ايام الحرب .

القاهرة ٢٩ – انشأت شركة الطيران الامبراطورية خطاً جوياً منتظماً كل اسبوعين بين جدة والقاهرة ماراً ببور سودان .

بونوس ايرس ٣٠ – وافق مجلس النواب الارجنتيني بالاكثرية على قطع العلاقات الديبلوماسية بين الارجنتين ودول المحور وفاقاً لمقررات مؤتمر الدول الاميركية المنعقد في ريو دي جانيرو في شهر كانون الثاني الماضي .

بغداد – تقرر ربط العراق بايران بخط جوي منظم .

لندن – في انباء فيشي ان المسيو هريو رئيس مجلس نواب فرنسا سابقاً ورئيس بلدية ليون اعتقل وفي نباء آخر ان جميع الموظفين العدليين في حكومة فيشي من ابناء الالزاس واللورين استقالوا احتجاجاً على معاملة الالمان لابناء وطنهم .

نيويورك – القى اللورد هاليفاكس سفير انكلترا في الولايات المتحدة الاميركية خطاباً قال فيه « باستطاعتنا ان نقول مع التأكيد ان انتاج بريطانيا الحربي يفوق اية دولة اخرى مع مراعاة نسبة عدد السكان فان بريطانيا وعدد سكانها ٤٧ مليون تنتج من الطائرات بقدر ما تنتجه المانيا وعدد سكانها ٨٠ مليون . وقال لقد بلغ انتاجنا بالدبابات ثلاثة اضعاف ما كان عليه منذ ثمانية اشهر . ونسبة انتاجنا في السفن يزيد ٢٣ بالمائة عما انتجناه في الحرب الماضية .

واشنطن – جاء من شونغ كونغ ان المستر وندل ويلكي مندوب الرئيس روزفلت كان ضيف شرف في مأدبة اقامها الماريشال شان كاي شك ، وقد خطب الماريشال مظهراً اعمال التخريب والتدمير التي حصلت في الصين على يد الجيوش اليابانية ، وختم كلامه فوز الصين في النهاية على المعتدين الغادرين .

عمان ٥ ت ١ – اجتمع في مركبة سكة حديدية في معان اعضاء مؤتمر درس الطريق البري للحج الذي يصل سوريا بالحجاز ، وكان في المؤتمر وفود سوريا وشرقي الاردن والمملكة العربية السعودية .

لندن ٦ ت ١ – عهد الجنرال ديغول الى الكابتان فالين نائب رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي السابق والذي وصل اخيراً الى لندن بمهمة خاصة الى الجنود الفرنسيين على حدود تشاد – ليبيا .

واشنطن ٧ – اعلنت وزارة الحربية الاميركية انها اخذت على عاتقها نقل الاعتدة والذخائر والجنود الى الشرق الاوسط بالطائرات .

لندن – لاول مرة قذف الالمان بقوات بروسية من نوع الكتائب الفدائية في معمعة القتال في ستالينغراد وبعد اربع وعشرين ساعة ردت هذه الكتائب بعد ان كبدت خسائر فادحة .

بغداد – اعلن ان فخامة نوري باشا السعيد الف الوزارة العراقية الجديدة وهي تتضمن ستة اعضاء من الوزارة السابقة المستقيلة وثلاثة وزراء جدد .

لندن ١٠ – اقر مجلس النواب البريطاني سياسة الحكومة في الهند باغلبية ٣٦٠ صوتاً ضد ١٦

لندن – وجهت الحكومة الالمانية انذاراً الى حكومة الدانمارك يتضمن وجوب تسليح جميع السفن التجارية الدانماركية وارسال مواد غذائية اكثر الى المانيا وان تعلن الحرب على روسيا ، وان ترسل العمال الى المانيا وان يكون للغستابو حق التعاون مع البوليس الوطني في اقتفاء اثار الذين يرتكبون اعمال التخريب والتدمير .

لندن ١١ – وجه الماريشال بتان نداء آخر الى العمال الفرنسيين يدعوهم فيه للسفر الى المانيا للعمل في معاملها الحربية كما ان لافال وجه نداء مماثلاً بالراديو .

بيروت – انتهت المفاوضات بين الحكومة اللبنانية وبين ادارة مصرف سوريا ولبنان على اتفاق بين الجانبين على رصد مبلغ خمسة ملايين ليرة لبنانية مصرف زراعي في لبنان .

القاهرة – اصبحت القاهرة متصلة رأساً بنيويورك بخط جوي طوله احد احد عشر الف ميل ويستغرق قطعة ٨٤ ساعة ، يخصص هذا الخط لنقل المعدات والمؤن من اميركا الى مصر وسائر انحاء الشرق الاوسط .

لندن – في انباء فرنسا ان الالمان منحوا لافال مهلة جديدة تنتهي في آخر الشهر الحالي لايجاد المئة والخمسين الف عامل المطلوبة من حكومة فيشي .

واشنطن ١٣ – طلب وزير الحربية الاميركية من رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ان يوافق الكونغرس على مشروع قانون يقضي

بتجنيد الشبان البالغ عمرهم ١٨ عاماً ، وقد صرح المستر روزفلت في مؤتمر الصحفيين بان اللجنة الخارجية والعسكرية في مجلس النواب ستوافق على المشروع .

نيودلهي – قررت حكومة الهند ايفاد بعثة من العمال الى روسيا وربما بعثت روسيا بوفد من العمال السوفيات الى الهند .

لندن – وصل لندن الماريشال سمطس رئيس حكومة جنوبي افريقيا وصرح بانه جاء ليتباحث مع المستر تشرشل في شؤون الحرب العامة ، وقال بصدد الجبهة الثانية ان الحلفاء اصبح بامكانهم الانتقال الى الهجوم في اي وقت ارادوا .

واشنطن – عاد المستر وندل ويلكي من رحلته في العالم وقابل المستر روزفلت

استمبول ١٥ – وقع خلاف بين الالمان والطليان بصدد احتلال التيرول الجنوبي ، ويبدو ان الالمان يرغبون في انشاء منطقة توغل نحو البحر الابيض عبر الاراضي التي يحتلها الطليان ، ولا تخفي الشخصيات الالمانية نفاد صبرها من الايطاليين كما انهم لا يكتمون المعارضة القائمة في ايطاليا بشأن التحالف الايطالي الالماني وبات كثير من الايطاليين يتحدثون بصلح منفرد بين الحلفاء وايطاليا .

استمبول – اعلن ان ثلاثمائة الف يوناني ماتوا من الجوع منذ الاحتلال الالماني حتى اول الشهر الحالي .

دمشق ١٦ – وصل الى العاصمة السورية المستر مورغان استاذ الزراعة والاقتصاد في جامعة كولومبيا وقد قابل رئيس الوزارة ، والمستر مورغان يقوم برحلة في البلدان العربية لدرس الطرق التي تؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي .

واشنطن – اعلنت نظارة البحرية ان فصيلة من الضباط والجنود التابعين لفرنسا المحاربة وصلت الى بعض المرافيء الاميركية في طريقهم الى قاعدة جوية اميركية وهو اول فوج من طياري فرنسا المحاربة يصل الى الولايات المتحدة عملا بالاتفاقية المعقودة بين اميركا وبين فرنسا المحاربة .

استمبول ١٧ – يقال ان الجنرال غودريان قائد المصفحات الالماني في الجبهة الروسية الوسطى قد قتل في معارك الصيف الماضي .

برن – تدل الانباء الواردة من ايطاليا ان ثمة حركة تمرد وعصيان خطيرة في الجيش الايطالي ونشرت جريدة لاسويس نبأ جاء فيه ان فريقاً من اعضاء الفاشيست وضباط الجيش الناقمين على الحالة الحاضرة عقد اجتماعاً في ميلانو .

موسكو ١٨ – اذاع راديو موسكو ان الموقف في ستالينغراد قد تحسن كثيراً ، وقال ان الالمان اعتمدوا اساليب جديدة في الاعمال الحربية .

انقره – احتفلت تركيا احتفالا كبيراً بمناسبة الذكرى الثالثة على توقيع التحالف الثلاثي بين انكلترا وفرنسا .

مانشيستر ٢٠ – صرح الكولونيل نوكس وزير البحرية انه سيكون لهذه البلاد عام ١٩٤٣ اكبر اسطول عرفه العالم سواء بالعدد او بالنوع .

واشنطن – تلح الصحف الروسية في المطالبة بمحاكمة الهر « هس » بصفة كونه احد المسؤولين الالمان عن فظائع هذه الحرب .

بيروت – بات من المرجح ان يتم الاتفاق بين الحكومة وبين التجار على ان يقدم التجار للحكومة ضريبة مقطوعة عن ارباح الحرب الاستثنائية قدرها اربعة ملايين ليرة لبنانية يجمعها التجار من الذين استفادوا من ارباح الحرب على ان تنظر الحكومة فيما بعد بفرض ضريبة على الدخل .

واشنطن – رحب الرئيس روزفلت بدخول الحبشة في مصاف الامم المتحدة فاصبح عدد الامم التي تقاتل المحور ٢٩ امة .

بيونس ايرس – اعلن الدكتور كارلس لاباث انه تمكن من اكتشاف طريقة لنقل الدم من شخص الى آخر في مدة ثلاث دقائق و٢٠ ثانية ، وقد ابدت السلطات العسكرية الارجنتينية اهتماماً لهذا النبأ وقررت ادخال هذا الاكتشاف في القسم الطبي للجيش .

عمان – تمت انتخابات المجلس التشريعي في شرقي الاردن بهدوء لم يسبق له مثيل وقد اسفرت الانتخابات عن بقاء نصف الاعضاء في مناصبهم .

انقره – بالنظر للحاجة الى الاقتصاد بالوقود قررت الحكومة تطبيق قرار وقف الاضاءة في المحلات العامة بعد الساعة العاشرة ليلا .

واشنطن – ٢٢ – صرح ناطق بلسان الاستعلامات الاميركية ان لدى الالمان ٦٨٣ الف اسير روسي بخلاف ما يدعيه الالمان في تصريحاتهم بان لديهم عدداً يتراوح بين ثلاثة وخمسة ملايين اسير روسي .

لندن – صرح الجنرال سمطس رئيس الوزراء في جنوب افريقيا في خطاب القاه اليوم امام اعضاء البرلمان بقوله انه حان وقت الهجوم ومن العبث التأخر لزيادة الاستعداد فقد تضيع الفرصة .

موسكو – اذاع راديو موسكو نص الرسالة التي بعث بها الرئيس روزفلت الى الشعب السوفياتي جاء فيها ان مقاومتكم الجريئة اعطتنا الوقت الكافي لاخراج سلاحنا بحيث نستطيع في الوقت المعين ان نشترك في انتصاركم ونحن الاميركيون فخورون بان نكون حلفاءكم »

موسكو – مضى اليوم شهران على ابتداء القتال في ضواحي ستالينغراد قام الالمان خلالها بهجمات صاعقة كثيرة ولكنها فشلت كما فشلت الخطط التي كانت ترمي الى شطر المدينة .

لندن – اعدم الالمان ٢٢ طالباً في صوفيا بتهمة القيام بالحركات الشيوعية وحكمت الحكومة على عشرة بالسجن .

نيويورك – اعلن عن فيشي ان السلطات الالمانية في باريس ستعمد الى اخذ العمال الفرنسيين الى المصانع الالمانية بالقوة .

القاهرة – شن الجيش الثامن هجوماً جديداً كبيراً على مواقع العدو في صحراء مصر الغربية ، وقد اخترقت القوات الحليفة مراكز الدفاع الالمانية الايطالية ، بعد ان مهد طيران الحليف بسلسلة غارات متواصلة منذ ايام على مراكز العدو الامامية وعلى قواعد تموينه واحتشاد جيوشه .

برلين ٢٥ – وجه غوبلز نداء الى الشبيبة الهتلرية جاء فيها « لا يمكن لاحد ان يعلم اية تجارب قاسية يخبئها لنا ايضاً هذا النضال من اجل كياننا ، اننا اليوم نجابه عالماً كبيراً يريد محونا وليس ثمة سوى قوة واحدة كفيلة بضبط هذه التجارب هي قوة المبادىء » ثم اشار الى الهوة العميقة التي تفصل المانيا القديمة عن الشباب النازي .